الفصل الثاني

بناء الفكر والعقيدة والجسم عند الطفل

أولاً: التعريف بالقرآن الكريم والسنّة النبوية وأخبار الصالحين:

القرآن الكريم كلام الله المعجِزُ وهو الكتاب المقدّس في الإسلام، والمصدر الأوّل والأساسي لأحكام الشريعة الإسلامية، ودستور الأمة الإسلامية في جميع نواحي الحياة؛ في العقائد والعبادات والمعاملات، في التربية والاقتصاد والاجتماع، وفي كل أمر من أمور حياتها، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وإن الاعتماد على القرآن الكريم في التربية الإسلامية يرجع في المقام الأول إلى ما وعد به الحقّ تبارك وتعالى في الحفظ له وتبيين كلّ شيءٍ فيه. يؤكّد ذلك السِّياقُ القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٩٧]، و إضافة إلى ذلك نجد أنَّ القرآن الكريم «ينتهج في تربية الإنسان مناهج يجب تمييزها إجمالاً وتفصيلاً، فقد خاطب العقل، وناجىٰ العواطف، وحاسب السرائر، وأدّب الحواس، وهذّب الملكات»[1].

والقرآن الكريم لا يجد المسلم أفضل وأكرم وأصدق رفيق منه، في حلّه وترحاله، في ليله ونهاره، والقرآن الكريم كما فهمنا مما سبق أنَّه جمع وحوىٰ كل ما يهمّ الإنسان من أمور دنياه وآخرته، فهو نبراسٌ لكل شيء، وهو المصدر لكل مسألة، وهو الجواب لكل تِسآل، فالمسلم المؤمن

---

(١) التربية الإسلامية وكيف نرغبها لأبنائنا: (ص ٩١ ـ ٩٢).

المتعبدّ يرىٰ في القرآن الكريم ملاذاً لكل ضائقةٍ ، وهو المرجع الأساس في العلم والمعرفة ، وفي الحياة الأسرية ، وفي العلاقات الاجتماعية ، وفي العمل ، وفي الحديث . . وفوق هذا كله ، فهو دستور العبادات ، والواسطة للصِّلة بالله سبحانه وتعالى .

فضل قراءة القرآن وحفظه :

وردت أحاديث نبويّة كثيرة تتحدث عن فضل قراءة القرآن ، ومن تلكم الأحاديث ما رواه أبو موسى الأشعري ، عن النبي ﷺ قال : «مَثَلُ الذي يَقرأُ القرآنَ كالأُتْرُجَّةِ ، طَعْمُها طيِّبٌ وريحها طَيِّبٌ ، والذي لا يقرأُ القرآن كالتَّمْرَةِ ، طَعْمُها طيِّبٌ ولا ريحَ لَها ، ومثلُ الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثَلِ الرَّيْحانةِ ، ريحها طيِّبٌ وطَعْمُها مُرٌّ ، ومثل الفاجِرِ الذي لا يقرَأُ القرآنَ كَمثَلِ الحَنْظَلَةِ ، طَعْمُها مرٌّ ولا ريحَ لها»[1] .

وفي حديث شريف آخر يوضِّح لنا رسول الله ﷺ منزلة من يتعلَّمَ القرآن ويعلِّمهُ ، فعن عثمان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ»[2] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا حَسَدَ إلاّ علىٰ اثنتيْن : رَجُلٌ آتاهُ اللهُ الكتابَ وقام به آناء اللَّيْلِ ، ورجلٌ أعطاهَ اللهُ مالاً فهوَ يَتَصَدَّقُ به آناءَ الليْل والنهارِ»[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «ما أذن اللهُ لشيءٍ ما أذن لنبيَ أَنْ يتغنّىٰ بالقرآنِ»[4] .

وفي فضل قراءة القرآن الكريم أحاديث أخرى تدعو المسلم إلى الإمعان

---

(١) [البخاري (٥٠٢٠) ومسلم (٧٩٧)] .
(٢) [البخاري (٥٠٢٧)] ، كتاب فضائل القرآن : باب : خيركم من تعلم القرآن وعلّمه .
(٣) [البخاري (٥٠٢٥) ومسلم (٨١٥) .
(٤) [البخاري (٥٠٢٣) ومسلم (٧٩٢)] .

بما جاء فيها من معانٍ تدل الإنسان على ما في قراءة القرآن من فائدةٍ وتقربُّ محبتَّه لله تعالى ولرسوله ﷺ ومنها:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآنَ فإنَّهُ يأتي يومَ القِيامَةِ شَفيعاً لأَصحابِهِ» رواه مسلم(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأُ القرآنَ وهوَ ماهِرٌ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرةِ، والذي يقرأُ القرآنَ ويُتَعْتِعُ فِيه وهوَ عليه شاقٌّ لَهُ أَجران» متفق عليه(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يرفَعُ بهذا الكِتابِ أَقْواماً ويَضَعُ به آخرينَ» رواه مسلم(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الذي لَيْسَ في جَوْفِهِ شَيءٌ مِنَ القرآنِ كالبَيْتِ الخَرِبِ» رواه الترمذي، قال: حديث حسن صحيح(٤).

والنبي ﷺ حذَّرنا من تعريض القرآن للنِّسيان، وأمر بتعهده، وفي الحديث الشريف ما يوضّحُ ذلك.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تَعاهَدوا هٰذا القرآنَ، فَوالـذَّي نَـفْسُ مُحمَـدٍ بِيَـدِه لَـهُـوَ أَشـدُّ تَـفَـلُّتـاً من الإِبـلِ في عُقُـلِها!» متفق عليه(٥).

---

(١) [مسلم (٨٠٤)].

(٢) [البخاري (٤٩٣٧) ومسلم (٧٩٨)].
«السَّفَرة»: الرسل. «الكرام»: لعصمتهم عن دَنَس الآثام.

(٣) [مسلم (٨١٧)].

(٤) [الترمذي (٢٩١٤)].

(٥) [البخاري (٥٠٣٣) ومسلم (٧٩١)] «تعاهدوا القرآن»: أي: حافظوا على قراءته وواظبوا على تلاوته، «تفلتاً»: تخلصاً. «عُقُلها»: جمع عقال: وهو حبل يُشَدُّ به البعير وسط الذراع.

وفي حديث آخر: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنّما مَثَلُ صاحبِ القرآنِ كَمَثلِ الإبِلِ المعقَّلة، إن عاهَدَ عَليها أمْسَكَها، وإنْ أطْلَقَها ذهَبَتْ» متفق عليه[1].

وفي استحباب تحسين الصوت بالقرآن والاستماع لصاحب الصوت الحسن الحديث التالي: عن أبي لبابَةَ بشير بنِ عبدِ المنْذِرِ رضي الله عنه، أَنَّ النبيّ ﷺ قال: «مَنْ لم يَتَغَنَّ بالقرآن فَلَيْسَ مِنّا» رواه أبو داود بإسناد جيّد[2].

وعن البَرَاء بن عازب رضي الله عنهما قال: سمعت النبيَّ ﷺ قرأ في العِشاءِ بالتين والزيتون، فما سَمِعْتُ أحداً أحسَنَ صوتاً منه. متفق عليه[3].

ومن الاستحباب الاجتماع على قراءة القرآن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومَا اجتمَعَ قومٌ في بيت من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ اللهِ، ويتدارسونَه بَينهُم، إلاّ نَـزَلَتْ عليهم السكينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحمةُ، وحَفَّتهمُ الملائكةُ، وذكرَهُمُ اللهُ فيمنْ عِنْدَه» رواه مسلم[4].

ثانياً: أخبار الصالحين:

عَـبَـقُ التاريخ الإسلامي وأريجه يملأ الدنيا بالطِّيبِ والفخر، بالعز والمجد، بروائع القِصص، ومفاتن السِّير، ومن واجب كل مسلم أن يعرف قَصصَ السلف الصَّالح برجاله ونسائه، وهل هناك أجلّ وأعظم بعد سيرة رسول الله ﷺ من سيرة صحابته من المهاجرين والأنصار؟ وسنجد في كل قصة أجمل معنى وأروع وأعظم فائدة يتأسّىٰ بها المسلمون، ويقتدي بها شبابنا وأطفالنا.

---

(١) [البخاري (٥٠٣١) ومسلم (٧٨٩)] «المعقَّلة»: أي: المربوطة بالعقال.

(٢) [أبو داود (١٤٧١)] «يتغنّىٰ»: يُحسِّنُ صوته بالقرآن.

(٣) [البخاري (٧٦٩) ومسلم (٤٦٤) (١٧٧)].

(٤) [مسلم (٢٦٩٩)] غشيتهم الرحمة: أي: عَمّتهم. حَفَّتهم: أحاطت بهم، وانظر رياض الصالحين، كتاب الفضائل، باب: استحباب الاجتماع على القراءة.

أصحاب النبي ﷺ وفضلهم:

ومَنْ صحب النبي ﷺ أو رآه فهو من أصحابه. وهؤلاء لهم فضل كبير.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناسِ زَمان، يَغزُو فئامٌ من الناسِ، فيقولونَ: فيكم مَنْ صاحَبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولونَ: نعم، فَيُفتحُ لهم، ثم يأتي على الناسِ زمان، فَيَغزُو فئامٌ من الناس، فيقال: هل فيكم من صَاحَبَ أصحابَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتَحُ لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئامٌ من الناس، فيقال: هَلْ فيكم مَنْ صاحبَ مَنْ صاحبَ أصحابَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيُفْتَحُ لهم»[1].

وفي مناقب المهاجرين وفضلهم بما قاسوه من ترك الوطن ومعاناتهم في الغربة وتحمُّلهم المشاقَ في سبيل نُصْرة دين الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] قالت عائشة وأبو سعيد وابن عباس رضي الله عنهم: وكان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار.

وفي فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: كنّا نُخيّرُ بيْنَ الناسِ في زمنِ النبي ﷺ، فنخيّرُ أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً من أمّتي خليلاً، لاتَّخَذْتُ أَبا بكرٍ، ولكن أَخي وصاحبي»[3].

---

(١) [البخاري (٣٦٤٩) ومسلم (٢٥٣٢)].

(٢) [البخاري (٣٦٥٥)].

(٣) [البخاري (٣٦٥٦)].

في فضل عمر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كانَ فيما قَبْلكُمْ من الأممِ مُحَدَّثون، فإنْ يَكُ في أمَّتي أحَدٌ فإنَّه عُمرُ»[1].

. . وعن عبد الله بن هشام قال: كنّا مع النبيِّ ﷺ، وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب[2].

في مناقب عثمان: وقال النبي ﷺ: «مَنْ يَحْفِرْ بئر رومَةَ فله الجنّة» فحفرها عثمان، وقال: «من جهّز جيش العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ» فجهّزه عثمان[3].

عن أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ دخلَ حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاءَ رجلٌ يستأذن، فقال «ائذَنْ لَهُ، وبشِّرهُ بالجنة» فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن، فقال: «ائذن له وبشّره بالجنة» فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن، فسكن هنيهة ثم قال: «ائذن له وبشِّرْهُ بالجنةِ، على بلوى ستصيبُهُ» فإذا عثمان بن عفان[4].

إنَّ مناقب الصحابة الكرام وفضائلهم كثيرة، وأعمالهم الصالحة جمّة، ومن الخير والمفيد أن نحاول معرفة لمحة عن بعضهم:

مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه:

قال النبي ﷺ لعليّ: «أنت مني وأنا منك»[5].

وقال عمر رضي الله عنه: توفي رسول الله ﷺ وهو عَنْه راضٍ[6].

---

(١) [البخاري (٣٦٨٩)].
(٢) [البخاري (٣٦٩٤)].
(٣) [البخاري (٢٧٧٨)].
(٤) [البخاري (٣٦٩٥) ومسلم (٢٤٠٣)].
(٥) [البخاري (٤٢٥١)].
(٦) [البخاري (١٣٩٢)].

عن سعد قال: سمعت إبراهيم بنَ سعدٍ، عن أبيه قال: قال النبي ﷺ لِعَليّ: «أما ترضىٰ أنْ تكونَ مِنّي بمنزلة هارون من موسىٰ؟»[1].

عن عبد العزيز بنُ أبي حازمٍ، عن أبيه: أنَّ رجلاً جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلانٌ، لأمير المدينة، يدعو عَلِيّاً عن المنبر، قال: فيقول: ماذا؟ قال: يقول له: أبو تُرابٍ، فضحِكَ، قال: واللهِ ما سماه إلا النبي ﷺ، وما كان له اسم أحبَّ إليه منه، فاستطعمْتُ الحديثَ سَهْلاً، وقلتُ: يا أبا عباسٍ، كيف ذلك؟ قال: دخل عليٌّ على فاطمة ثم خَرَج، فاضطَّجَعَ في المسجد، فقال النبي ﷺ: «أينَ ابنُ عَمِّكِ؟» قالت: في المسجد، فخرجَ إليهِ، فوجَدَ رداءَهُ قد سقط عن ظهرهِ، وخلصَ التراب إلى ظَهْرِهِ، فجَعَلَ يَمْسَحُ الترابَ عن ظهره، فيقول: «اجلسْ يا أبا تراب» مرتين[2].

ومن الصحابة الذين يحبّهم رسولُ الله ﷺ جعفر بن أبي طالب:

مناقب جعفر بن أبي طالب: الهاشميّ رضي الله عنه قال له النبي ﷺ: «أشْبَهْتَ خَلْقي وخُلُقي»، وهذه قصة جعفر رضي الله عنه حتى استشهاده:

كان في بني عبد مناف خمسة رجالٍ يشبهون رسول الله ﷺ أشدَّ الشَّبهِ حتى إن ضِعافَ البَصَرِ كثيراً ما كانوا يخلطون بين النبي وبينهم... إنهم: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم الرسول وأخوه من الرّضاع.

وقُثَمُ بن العباس بنِ عبدِ المطلب، وهو ابن عم النبي أيضاً.

والسَّائِبُ بنُ عُبَيْدِ بن عبدِ يزيدَ بنِ هاشم جَدُّ الإمام الشافعي رضي الله عنه.

والحَسَنُ بنِ عليٍّ سبْطُ رسول الله ﷺ وكان أشدُّ الخمسة شبهاً بالنبي ﷺ.

---

(١) [البخاري (٣٧٠٦) ومسلم (٢٤٠٤)].

(٢) [البخاري (٣٧٠٣) ومسلم (٢٤٠٩)].

وجعفرُ بن أبي طالب ، وهو أَخو أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالبِ كرّم الله وجهه.

كان أبو طالب ـ علىٰ الرغم من سُمُوِّ شرفه في قريش ، وعلوِّ منزلَتِهِ في قومه ـ رقيق الحال كثير العيال.

. . . ولم يكُنْ في بني هاشم يومئذٍ أيْسَرُ من محمد بن عبد الله ، ومن عمِّه العبّاس.

فقال محمدٌ للعبّاس: يا عَمّ ، إنَّ أخاكَ أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من شدّة القَحْطِ. . فانطلق بنا إليه حتى نَخْمِلَ عنه بعض عياله؛ فآخُذ أنا فتىً من بنيه ، وتأخذ أنت فتىً آخر فنكفيهما عَنْهُ ، فقال العباس: لقد دَعَوْتُ إلى خَيْرٍ وحَضَضْتَ على بِرٍّ ، ثم انطلقا حتى أَتَيا أبا طالب ، فقالا له: إنّا نريد أن نخفِّف عنك بعضَ ما تحملُهُ من عبءِ عيالِكَ حتى ينكشف هذا الضرُّ الذي مسَّ الناس ، فقال لهما: إذا تركتُما لي «عقيلاً»[1] فاصنعا ما شئتما. . .

جعفر عند العباس: فأخذ النبيُّ محمدٌ عليّاً وضمَّه إليه ، وأخذ العباسُ جعفراً وجعَلَهُ في عيالِهِ.

فلم يزل عليٌّ مع محمَّدٍ ﷺ حتى بعثَه اللهُ بدين الهدىٰ والحقِّ ، فكان أولَّ من آمَنَ مِنَ الفتيان.

وظلَّ جعفر مع عمِّه العبَّاس حتّى شبَّ وأسلم واستغنىٰ عنه.

انضمَّ جعفر بن أبي طالب إلى ركْبِ النّورِ هوَ وزوجُه «أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ» منذ أول الطريق ، فقد أسلما على يَدَي الصِّدِّيق رضي الله عنه قبل أن يدخُلَ الرسول ﷺ دار الأرقم[2] ولَقِيَ الفتى الهاشميُّ وزوجُه الشَّابَّة من أذىٰ قريشٍ

---

(١) «عقيل»: هو عقيل بن أبي طالب أخو علي رضي الله عنهما وهو أكبر منه.

(٢) دار الأرقم: دار بمكة ، كان الرسول ﷺ فيها يدعو الناس إلى الإسلام.

ونكالِها ما لقيه المسلمونَ الأوّلونَ ، فَصَبَرا على الأذىٰ لأنّهما يعلمان أنّ طريق الجنةِ مفروشٌ بالأشواك محفوف بالمكاره[١].

هجرته للحبشة: مضى ركبُ المهاجرين الأولين إلى أرض الحبشَة ، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه واستقرّوا في كنف النجاشي[٢] ملكها العادل الصالح.

لكنَّ قريشاً... هبّت تأتمر[٣] بهم لتقتلهم أو تسترجعهم إلى السجن الكبير.

وتروي «أم سَلَمةَ» قصة الهجرة في أرض الحبشة فتقول: لما نزلنا أرض الحبشة لقينا فيها خير جِوار فأمنّا على ديننا ، وعَبَدْنا الله تعالى ربَّنا من غير أنْ نؤذىٰ... فلمّا بلغ ذلِكَ قريشاً أرسلت من رجالها الأقوياء ، عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة محمّلين بالهدايا إلى النجاشي وبطارقته[٤]... وقالا للبطارقة: إنّه قد حلّ في أرض الملك غلمانٌ من سفهائنا ، صَبَؤوا[٥] عن دين آبائهم وأجدادهم وفرّقوا كلمة قومِهِمْ؛ فإذا كلّمنا الملك في أمرهم فأشيروا عليه بأن يسلِّمهُمْ إلينا دون أن يسألَهُمْ عن دينهم؛ فإنَّ أشراف قومهم أبصَرُ بهم وأعلم بما يعتقدون.

فقال البطارقة: نعم.

قالت أم سَلَمَةَ: ولم يكن هناك شيءٌ أكْرَهُ لعمروٍ وصاحبِهِ من أنْ يستدعي النجاشي أحداً مِنّا ويسمَعَ كلامَه.

---

(١) محفوف بالمكاره: محاط بالمصاعب والآلام.
(٢) كـنَـفِ النجاشي: حماه ورعايته.
(٣) تأتمر بهم: يأمُرُ بعضها بعضاً بقتلهم.
(٤) البطارقة: ج بطريق ، وهو رجل الدين عند النصارىٰ.
(٥) صبؤوا عن دينهم: ارتدّوا عنه.

جعفر والنجاشي: ثم أتيا النجاشيَّ وقدّما إليه الهدايا فاستطرفها[1] ، وأُعجِبَ بها ثم كلّماه وقالا: أيها الملك! إنه قد أوىٰ إلى مملكتِكَ طائفةٌ من أشرار غِلمانِنا ، قد جاؤوا بدينٍ لا نعرفُهُ نحنُ ولا أنتم؛ ففارقوا ديننا ، ولم يدخلوا في دينكم . . فنظر النجاشي إلى بطارقته ، فقال البطارقة: صَدَقا . . فغضب الملك غضباً شديداً من كلام بطارقتِهِ وقال: لا والله لا أسلمهم لأحدٍ حتى أدعوهم وأسألهم عما نُسِبَ إليهم . . قالت أم سَلَمة: ثم أرسل النجاشيّ يدعونا للقائه ، فاجتمعنا قبل الذهاب إليه وقال بعضُنا لبعضٍ: إنَّ الملك سيسألكم عن دينكم فاصدعوا[2] بما تؤمنون بِهِ وليتكلَّمْ عنكم جعفر بنُ أبي طالب ، ولا يتكلَّمْ أحَدٌ غَيرهُ ، قالت أم سَلَمَة: . . . فلما استقر بنا المجلس عند النجاشي وكان عنده عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، التفت إلينا النجاشي و قال: ما هذا الدّين الذي استحدثتموه لأنفسكم وفارقتم بسببهِ دين قومكم ، ولم تدخلوا في ديني . . فتقدم جعفر بن أبي طالب وقال: أيها الملك ، كنّا قوْماً أهلَ جاهليةٍ ، نعبُدُ الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيءُ الجوار ، ويأكل القويُّ منّا الضعيف ، وبقينا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرِفُ نَسَبَهُ ، وصِدْقَهُ ، وأمانَتَهُ ، وعَفافه .

فدعانا إلى الله؛ لنوحّده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبده ، من الحجارة والأوثان . . وقد أَمَرَنا بصدقِ الحديث ، وأداء الأمانةِ ، وصِلةِ الرَّحِمِ ، وحُسْنِ الجوار ، والكفِّ عن المحارم ، وحَقْنِ الدِّماء[3] ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزّور ، وأكل مالِ اليتيم ، وقذْف المحصناتِ[4] وأمَرَنا أن نعبدَ الله وحدَه ولا نشرك به شيئاً ، وأن نقيمَ الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم

---

(١) استطرفها: استحسنها.

(٢) فاصدعوا: فاجهروا.

(٣) حقن الدماء: حفظها وعدم إراقتها.

(٤) قذف المحصنات: اتّهام النساء الطاهرات العفيفات.

رمضان . . . فصدَّقناه ، وآمنّا به ، واتَّبعناه على ما جاء به من عندِ الله ، فحلّلنا ما أحلّ لنا ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، فما كان من قومنا أيها الملك إلا أنْ عَدَوْا علينا ، فعذَّبونا أشدّ العذاب؛ ليفتنونا عن ديننا[1] ، ويردّونا إلى عبادةِ الأوثان . . فخرجنا إلى بلادكَ ، واخترناك على مَنْ سواكَ ، ورغبنا في جِوارِكَ ، وَرَجَوْنا ألاّ نُظْلَمَ عندك .

قالت أم سَلَمَة : فالتفت النجاشيّ إلى جعفر وقال : هل معك شيءٌ ممّا جاء به نبيّكُمْ عن الله؟ قال : نعم : فاقرأْه عليَّ ، فقرأ عليه : ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم : ١ ـ ٤] ، حتى أتم صدراً من السورة قالت أم سلمة : فبكى النجاشيُّ حتى اخضلَّت[1] لحيته بالدموع ، وبكىٰ أساقفته حتى بلّلوا كُتُبَهَمْ ، لما سمعوه من كلام الله . . . وهنا قال النجاشيُّ : إنّ هذا الذي جاء بهِ نبيُّكم والذي جاء به عيسىٰ ليخرُج من مشكاةٍ[2] واحدةٍ ، ثم التفتَ إلى عمروٍ وصاحِبِه وقال لهما : انطلقا ، فلا واللهِ لا أسلِّمُهُمْ إليكما أبداً .

قالت أم سلمة : فلما خرجنا من عند النجاشي توعَّدنا[3] عمرو بن العاص وقال لصاحبه : والله لآتيَنَّ الملك غداً وأملأ صدره غيْظاً منهم . . . لأقولنَّ إنهم يزعمون أنَّ عيسى ابن مريم عبد . . . فلما كان الغد دَخَلَ عمرو على النجاشي وقال له : أيها الملك ، إنّ هؤلاء الذين آويتهم وحميتهم ، يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً ، فأرسِلَ إليهم ، وسلْهم عمّا يقولونه فيه ، قالت أم سلمة : فلما عرفنا ذلك ، نزل بنا من الهمِّ والغمِّ الكثير . . . ثم اتفقنا على أن يتولّىٰ الكلام عنّا جعفر بن أبي طالب أيضاً .

---

(١) ليفتنونا عن ديننا : ليرجعونا إليه .

(٢) المشكاة : ما يوضع عليه المصباح . والمراد يخرجان من نور واحد .

(٣) توعّدنا : هدّدنا .

في رعاية النجاشي:

فلما صِرْنا بين يدي النجاشي بادَرَنا بقوله: ماذا تقولون في عيسى ابن مريمَ؟ فقال له جعفر: إنّما نقول فيه ما جاء به نبيُّنا ﷺ. فقال النجاشي: وما الذي يقوله فيه؟ فأجاب جعفر: يقول عنه: إنّه عبدُ اللهِ ورسولُه، وروحُه وكلمتُه التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول[1]. فما أن سمع النجاشيّ قولَ جعفر حتى ضَرَبَ بِيدِه الأرضَ وقال: واللهِ، ما خَرَج عيسى ابن مريم عما جاء به نبيّكم مقدار شعرة.

ثم التفت وقال: اذهبوا فأنتم آمنون... من سَبّكم غَرِم، ومن تعرَّض لكم عُوقِب... واللهِ ما أحبُّ أنْ يكون لي جبلٌ من ذهبٍ، وأن يُصابَ أحدٌ منكم بسوء. ثم نظر إلى عمروٍ وصاحبه وقال: ردّوا على هذين الرجلين هداياهم؛ فلا حاجة لي بها... فخرج عمرو وصاحبُه مكسورين مقهورين... يجران أذيال الخيْبَة، وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دارٍ مع أكرم جار.

قضى جعفر وزوجته في رحاب النجاشي عشر سنوات آمنين، وفي السنة السابعة للهجرة غادر الحبشة مع نفرٍ من المسلمين متّجهين إلى يَثْرِبَ[2]، فلما بلغوا كان رسول الله ﷺ عائداً لتوّه من خيبر[3] بعد أن فتحها الله له ففرِحَ بلقاء جعفرَ فرحاً شديداً حتى قال: ما أدري بأيهما أنا آشدّ فرحاً!! أبفتحِ خيْبَرَ أم بقدوم جعفر؟!.

جعفر وقتال الروم: لم يَطُلْ مُكْثُ جعفر بن أبي طالب في المدينة، ففي أوائل السنة الثامنة للهجرة جهّز الرسول ﷺ جيشاً لمنازلة الروم في بلاد الشام وأمَّرَ على الجيش «زيد بن حارثة» وقال: «إن قُتِلَ زيدٌ أو أصيب فالأمير جعفر

---

(١) البتول: المنقطعة لعبادة الله.

(٢) يثرب: المدينة المنورة.

(٣) خيبر: حصون لليهود فتحها الرسول ﷺ سنة سبع للهجرة وغنم منها معائم كثيرة.

ابن أبي طالب ، فإن قُتِلَ جعفرٌ أو أَصيبَ ، فالأمير عبد الله بن رَوَاحَةَ فإنْ قُتل عبد الله بنُ روَاحَـةَ أو أُصيبَ فَلْيَخْتَـرِ المسلمون لأنفسهم أميراً منهم» .

فلمّا وصل المسلمون إلى «مؤْتة» في الأردن وجدوا أنَّ الروم قد أعدّوا لهم مئة ألفٍ ، تُظاهِرُهُم[1] مئةُ ألفٍ أخرى من نصارى العرب من قبائل لَخْمٍ وجُذامٍ وقُضَاعَةَ وغيرِها .

أمّا جيشُ المسلمينَ فكان ثلاثة آلاف .

وما أن التقى الجمعان ودارَت رحىٰ المعركة حتى خرَّ زيد بن حارثة صريعاً مُقبلاً غير مُدبر .

فما أسرع أن وثب جعفرُ بنُ أبي طالب عن ظهر فَرَسٍ كانت له شقراءَ ، ثم عقَرها[2] بسيفه حتى لا ينتفع بها الأعداء من بعده ، وحَمَلَ الراية وأوغل[3] في صفوف الروم وهو يُنْشِدُ :

يـا حبّـذا الجنَّـةُ واقتـرابُهـا طيِّبَـةٌ وبـاردٌ شـرابهـا
والـرومُ رومٌ قـد دَنَـا عـذابُهـا كـافِـرة بعيـدةٌ أَنسـابُهـا
عليَّ إذْ لاقيتها ضِرابها

وظل يجول في صفوف الأعداء بسيفه ويصول حتى أصابته ضربة قطعت يمينَهُ ، فأخذ الراية بشمالِهِ ، فما لبثَ أن أصابته أخرىٰ قطعت شِمالَهُ ، فأخذَ الراية بصدره وعضديه ، فما لبث أن أصابته ثالثة شطَرَتْهُ شَطَرَيْنِ ، فأخذ الراية منه عبد الله بن رواحة فما زال يقاتُل حتى لحق بصاحبيهِ .

جعفر الطيار الشهيد: بلغ الرسول ﷺ مصرع قوّاده الثلاثة فَحَزِنَ عليهم أشدَّ الحزن وأمضَّهُ[4] وانطلق إلى بيت ابن عمه جعفر فألفى[5] زوجته أسماءَ

---

(١) تظاهرهم : تساندهم وتدعمهم .
(٢) عقَرها : ضرب قوائمها بسيْفِه .
(٣) أوغَلُ : دخل بعيداً .
(٤) أمضَّه : أوجعه .
(٥) ألفىٰ : وَجَدَ .

بنتَ عُمَيْسٍ تتأهَّبُ لاستقبال زوجها الغائب.

فهي قد عجنَتْ عجينَها، وغَسَّلَتْ بَنِيها ودَهَنَتْهم وألْبَسَتْهُم... قالت أسماء: فلما أقبل علينا رسول الله ﷺ رأيتُ غُلالةً[1] من الحُزْنِ توشِّحُ[2] وجهه الكريم، فَسَرت المخاوف في نفسي غير أنّي لم أسألَهُ عن جعفرٍ مخافةَ أن أسمَعَ ما أكره. فحيّا وقال: «ائتيني بأولاد جعفرٍ» فدعوتُهم له، فهبّوا نحوه فرحين مزغردين وأخذوا يتزاحمون عليه، فأكبَّ عليهم، وجعل يتشمّمُهُم، وعيناه تذرفان من الدمع. فقلت: يا رسولَ الله! بأبي أنت وأمي! ما يبكيكَ؟! أبلغَكَ عن جعفر وصاحبيه شيء؟ قال: «نعم.. لقد استشهدوا هذا اليوم»... عند ذلك غاضت البَسْمة من وجوه الصغار لمّا سمعوا أمَّهم تبكي... أمّا رسول الله ﷺ فمضىٰ وهو يكفكف عَبَراته ويقول: «اللهم اخلف جعفراً في ولَـدِه...! اللهم اخلف جعفراً في أهله» ثم قال: «لقد رأيت جعفراً في الجنة له جناحان مضرّجان بالدماء، وهو مصبوغ القوادم»[3].

المهاجرون الأنصار:

في تاريخنا الإسلامي المجيد نجد مجلدات كثيرة وأسفاراً كبيرة كلها تتحدث عن عظمة الإسلام ورسوله ﷺ وصحابته الكرام، ومهما طال بحثنا وتنقيبنا عن أخبار الصالحين... وهم كُثر، غير أَنَّ صحابة رسول الله، لهم المكانة الأعَزُّ، والسيرة الأحبُّ إلى قلوب المسلمين، وقصة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه كان مثالاً يُحتذى في إيمان الشباب وصبرهم على المكاره

---

(١) الغلالة: ثوب رقيق شفّاف.

(٢) توشّح: تغطّي.

(٣) انظر: صوَر من حياة الصحابة: د. عبد الرحمن رأفت الباشا. دار النفائس ـ مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧) (ص ٥٧ ـ ٨٥) باختصار، وللاستزادة من أخبار جعفر انظر: الإصابة (١/ ٢٣٧). صفة الصفوة (١/ ٢٠٥) حلية الأولياء (١/ ١١٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٢) تهذيب التهذيب (٢/ ٩٨) والسيرة النبوية لابن هشام. =

وحرصهم على رفع راية الإسلام في كلِّ مكان.

في الصفحات التالية سنتعرّف على بعض الصالحين من خلال شخصياتهم وما قدّموا من تضحيات للدّين الحنيف، وكيْف كانوا يسيرون على محبة الله ورسوله.

وسنتعرّف على شخصياتٍ من الأنصار بعد أنّ تكلّمنا عن بعض المهاجرين؛ وكلهم أخيار..

مناقب الأنصار:

يقول الله سبحانه في القرآن العزيز: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ [الحشر: ٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «لَوْ أَنَّ الأنصارَ سلكوا وادياً، أو شِعْباً، لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرةُ لكُنْتُ امرأً من الأنصار»(١).

وفي تكريم النبي ﷺ ومحبَّة الأنصار.. قال البراء رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأَنْصارُ لا يحِبُّهُمْ إلا مؤمن، ولا يبغضُهمْ إلا منافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أبغضهم أبْغَضَهُ اللهُ»(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الإيمانِ حُبُّ الأنصارِ، وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأَنْصارِ»(٣)... وعن عمرو بن مُـرَّةَ قال: سمعت أبا حمزة ـ رجلاً من الأنصار ـ: قالَتِ الأنصارُ: إنَّ لكلِّ قوم أتباعاً، وإنّا قد اتّبَعْناكَ، فَادْعُ اللهَ أن يَجْعَلَ أَتْباعَنَا مِنّا، قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ أتباعَهُمْ مِنْهُمْ»(٤).

---

(١) [البخاري (٣٧٧٩)] كتاب: مناقب الأنصار.
(٢) [البخاري (٣٧٨٣) ومسلم (٧٥)].
(٣) [البخاري (٣٧٨٤) ومسلم (٧٤)].
(٤) [البخاري (٣٧٨٨)].

وقام النبي ﷺ بأوّل عمل حين وصوله المدينة المنوّرة أنْ آخىٰ بين المهاجرين والأنصار ودعا لهما ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا عَيْشَ إلاّ عَيْشُ الآخرة فَارْحَم الأَنْصارَ والمهاجِرَهْ»[1].

وفي حديث آخر: عن آنس أيضاً: قال: كانت الأنصار يَوْمَ الخندقِ تَقُولُ:

نحن الذين بايعوا مُحَمَّدا على الجَهادِ ما حَيِينَا أبدا

فأجابهم:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارْحَمِ الأنصار والمهاجرة»[2]

معاذ بن جبل

معاذ بن جبل من أبطال الأنصار ومن أهل «يثرب» ومن مناقبه ما جاء في الحديث التالي:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: سمعت النبي ﷺ يقول: «اسْتَقْرِئوا القرآنَ من أربعة: من ابنِ مسعودٍ ، وسالمٍ مولىٰ أبي حُذَيْفَةَ ، وَأُبَيّ ، ومعاذِ بنِ جبل»[3].

و«لما أشرقت جزيرة العرب بنور الهدي والحق كان الغلامُ اليثربي معاذ بن جبل فتىً يافعا وكان يمتاز من بين أترابِهِ بحدَّة الذَّكاء ، وقوَّةِ العارضة[4] ، وروعة البيان ، وعلوّ الهمَّة ، وكان إلى ذلك قسيماً وسيماً[5] أكحَلَ العينِ

---

(١) [البخاري (٣٧٩٥) ومسلم (١٨٠٥) مطولاً].

(٢) [البخاري (٣٧٩٦) ومسلم (١٨٠٥)].

(٣) [البخاري (٣٨٠٦) ومسلم (٢٤٦٤)].

(٤) قوة العارضة: قوه البديهة والبيان.

(٥) قسيماً وسيما: بهي الطلعة جميلاً.

جَعْدَ الشَّعْرِ برّاق الثنايا ، يملأ عين مجتليه[1] ويملك عليه فؤاده.

أسْلَمَ الفتى معاذ على يدي الدّاعية المكّيّ «مصعب بن عُمير» وفي ليلة العقبة امتدتْ يَدُهُ الفتيةُ فصافَحَتْ يَدَ النبي الكريم وبايَعَتْهُ.

ولما قدِم الرسول الكريم ﷺ على المدينة مهاجراً لزمه الفتىٰ مُعاذ بن جبل مُلازمَة الظِّلِّ لصاحبه ، فأخذ عنه القرآن ، وتلقّىٰ عليه شرائع الإسلام ، حتى غدا من أَقْرَأ الصَّحابَةِ لكتاب اللهِ ، وأعلمهم بشرعِهِ»[2].

وكان شبيه عمر بن الخطاب في استنارة عقله ، وشجاعة ذكائه... ولعّل قدرة معاذ على الاجتهاد ، والشجاعة في استعمال الذّكاء والعقل ، هما اللّتان مكّنتا معاذاً من ثرائه الفقهي الذي فاق به أقرانه وإخوانه ، وصار كما وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام: «أعلم الناس بالحلال والحرام».

عقل جازم يحسن الفصل في كل الأمور... فولاء معاذ لكتاب الله ، ولسنّة رسوله لا يحجب عقله عن متابعة رؤاه.. وفي أول خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، دخل «عائذ الله بن عبد الله» المسجد يوماً مع أصحاب الرسول ﷺ... قال: فجلست مجلساً فيه بضعٌ وثلاثون ، كلهم يذكرون حديثاً عن رسول الله ﷺ ، وفي الحلقة شاب شديدُ الأُدمَة[3] ، حلو المنطق ، وضيءٌ ، وهو أشبُّ القومِ سنّاً ، فإذا اشتبه عليهم من الحديث شيءٌ ردُّوه إليه فأَفتاهم ، ولا يحدِّثُهم إلا حين يسألونه ، ولما قُضيَ مجلسهم دنوتُ منه وسألـتُـه: مَنْ أنتَ يا عبد الله؟ قال: أنا معاذ بن جبل.

وهذا أبو مسلم الخولاني يقول: دخلت مسجد «حمص» فإذا جماعة من الكهول يتوسَّطهم شاب برّاق الثنايا ، صامت لا يتكلم.. فإذا امترىٰ[4] القوم

---

(١) مجتليه: الناظر إليه.

(٢) انظر: صور من حياة الصحابة: عبد الرحمن رأفت الباشا (ص ١٢٥ ـ ١٣٠).

(٣) الأُدمة: باطن الجلد الذي يلي اللحم والبَشَرة ظاهرها.

(٤) امترىٰ القوم: الشيء تجاذبوه [المعجم الوسيط (مَتَرَ) (ص ٨٥٢)].

في شيءٍ توجَّهوا إليه يسألونَهُ... فقلت لجليس لي: مَنْ هذا...؟ قال: معاذُ بن جبل... فوقع في نفسي حُبَّـهُ...

وقال المؤرِّخون «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تحدَّثوا وفيهم مُعاذ بن جبل، نظروا إليهِ هيبةً له... ولقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشيره كثيراً... وكان يقول في بعض المواطِن: لولا مُعاذ لَهلكَ عمر...، ولقد بلغ معاذ هذه المنزلة في علمه، وفي إجلال المسلمين له أيام الرسول وبعد مماته وهو شاب... فلقد مات مُعاذ في خلافة عمر ولم يجاوز من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة»[1].

ثـالـثـاً: صحابـيات جـلـيـلات

تعرّفنا على مناقب عدد من أصحاب رسول الله ﷺ من الخلفاء الراشدين ومن أصحابه في الهجرة، وأيضاً عن أصحابه من الأنْصَار، وعرفنا أيضاً المناقب الكثيرة عن هؤلاء وأولئك من الرجال الأبطال، وحريٌّ بنا أن نذكر من الصّحابيات الفاضلات اللواتي لم يُقَصِّرنَ في دعم الدعوة، وكنّ خير رفيقاتٍ في الجهاد، وفي مساعدة المسلمين في الحرب والسلم؛ وإذا أردنا أن نسرد قصَصَ أمهات المؤمنين فقط لضاقَ في ذلك كلُّ الكتاب، وسنذكر اثنتين من المؤمنات اللواتي عِشْنَ في زمن الرسول ﷺ، وذلك ليس من باب الـتَّـفْضِيل؛ فكلهنَّ فاضلات وجميعهنَّ صالحات، ويتمنّىٰ كل إنسان مسلم أن يُلمَّ بكل شاردة وواردة عن قصة كلِّ صحابيّ وصحابية، لأن في قصَصِهم النَّهج التربويّ الإسلامي الذي يجب أن يكون قدوة لنا ولنِسائنا وأبنائنا وبناتنا، ونرىٰ في كل قصة كيف كانت تربيتهم وتربيتهن على يدي رسول الله ﷺ لتكون سِيَرهم دستوراً كاملاً في أسس بناء المجتمع الإسلامي الذي نسعىٰ إليه.

---

(١) انظر: رجال حول الرسول: خالد محمد خالد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (ص ١٣٦ ـ ١٣٨).

ولنتعرّفِ على صحابيّة جليلة هي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة:

أم سَلمَـة «أَيِّـمُ الـعَـرَب»

أم المؤمنين هند بنت أبي أمية رضي الله عنها:

«قالت السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما: «لما تزوّج الرسول ﷺ «أم سَلَمَة» حَزِنَتْ حزناً شديداً لما ذُكرَ لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها، فرأيت أضعاف ما وُصِفَتْ بِهِ».

«أم سَلَمَة... أبوها من سادات مخزوم المرموقين وجوادٌ من أجواد العرب المعدودين حتى إنَّه كان يقال له: «زادُ الراكب» لأنّ الركبان كانت لا تتزوّد إذا قصدت منازله أو سارت في صحبته.

وأمَّا زوجها: فعَبد الله بنُ عبد بن عبد الأسد بن عبد الله بن مخزوم[1]، من السابقين إلى الإسلام؛ إذ لم يُسْلم قبلَه إلا أبو بكر الصدّيق ونفر قليل لا يبلغ أصابع اليدين عدداً، وأمها: عاتكة بنت عامر الكنانيّة من بني فراس.

وأمّا اسمها فهو: «هند» لكنّها كُنّيت بأم سَلَمَة، ثم غلبت عليها الكنية. أسلمت أم سلمة فهو مع زوجها فكانت هي الأخرىٰ من السابقات إلى الإسلام أيضاً.

وما إن شاع نبأ إسلام أم سَلَمة وزوجها حتى هاجت قريش وماجت وجعلت تصبّ عليهما من نكالها[2]...، فلم يَضْعُفا ولم يهِنا، ولم يتردّدا، ولما اشتدّ عليهما الأذىٰ وأذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة كانا في طليعة المهاجرين.

مضت أم سلمة وزوجُها إلى ديار الغربة وخلّفَت وراءها في مكّة بيتها

---

(١) عبد الله بن مخزوم: صحابي جليل، هاجر الهجرتين.

(٢) النكال: الأذى الشديد الذي يجعل المصاب به عبرة لغيره.

الباذخ[1] ، وعِزّها الشامخ ، ونسبها العريق ، مُحْتَسِبَةً ذلك كله عند الله . . . وبالرغم من حماية النجاشي لها ولصحبها فقد كان الشوق إلى مكة مهبِط الوحي ، والحنين إلى رسول الله ﷺ مصدر الهدىٰ يَفْري كبدها وكبدَ زوجها فرياً .

وكثر عدد المسلمين في مكة . . . وإن إسلام حمزة بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب قد شدّ أزرهم ووصلت الأخبار إلىٰ الحبشة . . . فعزم فريق من المهاجرين على العودة إلى مكة ، فكانت أم سلمة وزوجُها في طليعة العائدين[2] .

كانت السيدة هند خير زوجة وفاءً وطاعة وقياماً بحقوق الزوج حقَّ القيام . . . سافرت إلى الحبشة فِراراً بدينها ـ كما ذكرنا ـ تاركةً خلفها الأهل والمال والوطن رافضةً الاستسلام للظلم والطغيان . . .

وولدت في المهجر ابنها سَلَمة؛ بعد عودتها وزوجها إلى مكة بفترة . . أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة بعد بيْعة العقبة الكبرىٰ ، فأجمع أبو سلمة أمره بالهجرة إلى المدينة بأهله ، فكانت قصة خروجها مأساة بالغة . . . فقالت أم سلمة رضي الله عنها : لما أزمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ، ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني سَلَمةَ في حِجري ، ثم خرج يقود بعيره ، فلما رآه رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبْتَنا عليها ، أرأيتَ صاحبتَنا هذه ، علامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ .

قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد وأهووا إلى ولدنا سَلَمةَ .

---

(١) الباذخ : العالي ، الرفيع .

(٢) انظر : صور من حياة الصحابة (ص ٦٧ ـ ٦٩) ، وتهذيب سيرة ابن هشام : عبد السلام هارون . المكتبة الأموية بدمشق ـ ١٣٧٤ هـ (١/ ٧٣ ـ ٧٧) . =

وقالوا لرهط زوجي: لا والله لا نترك ابننا عندها... فتجاذبوا ابني «سلمة» حتى خلعوا يده، وانطلق به رهط أبيه، وحبسني بنو المغيرة عندهم.

ومضى زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة فراراً بدينه ونفسه... وفي لحظاتٍ وجدت نفسي ممزَّقَة الشَّمل وحيدة فريدة حيث فُرِّق بيني وبين زوجي وبين ابني في ساعة... ومنذ ذلك اليوم أخرُجُ كل غداة فأجلس في المكان الذي شهد مأساتي وأستعيد صورة اللحظات التي حِيلَ بيني وبين زوجي وبين ولدي، وأظَلُّ أبكي حتى يختيم عليَّ بالليل، وبقيت على ذلك سنة تقريباً حتى رقَّ لحالي رجل من بني عمي وقال لبني قومي: ألا تُخرجونَ هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها؛ وما زال بهم يستلين قلوبهم حتى قالوا لي: الحقي بزوجك إن شئتِ... ورد عليّ بنو عبد الأسد عند ذلك ابني، فرحّلت بعيري، ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، حتى إذا كنت بالتّنعيم[1] لقيت عثمان ابن طلحة[2]، فقال: إلى أين يا بنت زاد الراكب؟ فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ فقلت: لا والله، إلا الله ثم ابني هذا. فقال: والله مالك من مُتْرَك. وأخذ بخطام بعيري فانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه كان أكرم منه ولا أشرف... وفي الطريق إلى المدينة نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء وكان بها منزل أبي سلمة في مهجره، قال: إنّ زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة... وهكذا كانت أم سلمة أول ظعينة[3] دخلت المدينة، كما كانت من المهاجرين الأوائل إلى الحبشة.

---

(١) التنعيم: مكان على ثلاثة أميال من مكة.

(٢) عثمان بن طلحة: كان يوم رافق أم سلمة مشركاً، أسلم في هدنة الحديبية وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، فلما فتحت مكة، دفع النبي ﷺ مفاتيح الكعبة إلى عثمان بن طلحة وإلى ابن عمه شيبة، استشهد في خلافة عمر.

(٣) ظَعينة: المرأة ما دامت في الهَوْدَج (مختار الصحاح: ظَعَنَ).

وفي المدينة المنورة عكفت على تربية صغارها . . . وتفرّغ زوجها للجهاد فشهد بدراً وأُحداً ، وبعد شهرين عقد له الرسول ﷺ لواء سرية حارب بها بني أسد ومعه مئة وخمسون رجلاً منهم أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقّاص وتمَّ له النصر . . وفي هذه السرية انتكأ الجرح الذي أصابه يوم أحُد فألزمه الفِراش . . . وذات صباح عاده الرسول ﷺ ، ولم يكد ينتهي من زيارته حتى فارق أبو سلمة الحياة ، فأغمض النبي ﷺ بيديه الشريفتين عَيْني أبي سلَمَةَ[1] ودعا له قائلاً : «اللهم اغْفِرْ لأبي سَلَمَةَ ، وارفَعْ درجته في المَهْدِيّين ، واخلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغابِرين ، واغْفِرْ لَنا ولَهُ يا رب العالمين! وافسح لَهُ في قبرِهِ ، ونوِّر له فيه» رواه مسلم[2] .

وبعد وفاة أبي سَلَمَةَ تذكرت أم سلمة ما رواه لها زوجها عن رسول الله ﷺ فقالت : اللهم عندك أحتَسِبُ مصيبتي هذه ، لكنّها لم تطبْ نفسُها أن تقول : اللَّهم أَخلفني فيها خيراً منها ، لأنّها كانت تتساءل : ومَنْ عساه أن يكون خيراً من أبي سَلَمة؟ لكنها ما لبثت أن أتمّت الدّعاء . . . حزن المسلمون لمُصاب أم سلمةَ كما لم يحزنوا لِمُصاب أحد من قبل ، وأطلقوا عليها اسم «أيِّم[3] العرب» .

شعر المهاجرون والأنصار معاً بحق أمّ سلمة عليهم ، فما كادت تنتهي من حدادها على أبي سَلَمة حتى تقدّم منها أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبها لنفسه ، فأبت . . . ، ثم تقدم منها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فردّتهُ أيضاً ، ثم تقدّم منها رسول الله ﷺ فقالت له : يا رسول الله ، إنّ فيّ خِلالاً ثلاثاً : فأنا امرأة شديدةُ الغَيْرَةِ فأخاف أن ترىٰ منّي شيئاً يُغضبِك فيعذّبني الله

---

(١) انظر : نساء حول الرسول؛ بسام محمد حمامي ، دار دانية ، دمشق ـ بيروت ط ١ . (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣) (ص ١٢٩ ـ ١٣٣) ، وانظر : صور من حياة الصحابة (ص ٧٠ ـ ٧٧) .

(٢) [مسلم (٩٢٠)] .

(٣) أيّم : ج أيامىٰ ، وهم الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء ، مختار الصحاح (أيم) .

به ، وأنا امرأة قد دخلتُ في السِّنِّ ، وأنا امرأة ذات عيال[1]. فقال ﷺ: «أما قولك: إنّك امرأة مسنَّـةٌ ، فأنا أَسنُّ منك! ولا يُعاب على المرءِ أن يُقال: تزوّج أسنَّ منه. . . وأما قولك: إنّي أم أَيْتَام ، فإن كلّهم على الله ورسوله. . وأما قولك: إني شديدة الغيرة ، فإني أدعو الله أن يُذْهبِ عنك ذلك. . .»[2].

وتزوّجت رسول الله ﷺ وقالت: لقد أبدلني الله بأبي سَلَمة خيراً منه رسول الله ﷺ وتم الزواج في شهر شوال من السنة الرابعة للهجرة على الصحيح[3].

وتكلّفت السيدتان عائشة وحفصة رضي الله عنهما ما استطاعتا من شجاعة وطاقة لتستقبلا الزوجة الجديدة بشيء من الصَّبر والمجاملة ، وذلك إكراماً للزوج ﷺ.

وذكر ابن سعد عن الواقدي ، حديث عائشة رضي الله عنها:

لما تزوّج رسول الله ﷺ أم سلمة ، حزنْتُ حُزْناً شديداً لِما ذُكِرَ لَنا مِنْ جَمَالِها ، فَتَلَطَّفْتُ حتى رأيتُها ، فرأيتُ واللهِ أضعافَ ما وُصِفَتْ به. . . ولم تبقَ أم سَلَمة أماً لسَلَمةَ وحدهُ وإنّما غَدَت أمّاً لجميع المؤمنين. . . .»[4].

وكانت أم سلمة رضي الله عنها تروي الحديث عن رسول الله ﷺ: . . . قالت: فلما مات أبو سَلَمة ، أتيتُ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله! إنَّ أبا سلمة قد ماتَ ، قال: «قولي: اللهم اغفرْ لي وأعْقِبْني منه عُقبىٰ حَسَنَةً» فقلتُ ، فأعقبَني الله مَنْ هو خيرٌ لي منه: محمداً ﷺ»[5].

---

(١) صور من حياة الصحابة (ص ٧٧ ـ ٧٩).

(٢) السمط (٨٩) ، والمحبر (٨٥) ، وعيون الأثر (٢/ ٣٠٤) وكذلك في الإصابة والاستيعاب.

(٣) الإصابة وعيون الأثر.

(٤) نساء حول الرسول (ص ١٣٤ ـ ١٣٥).

(٥) [مسلم (٩١٩) وأبو داود (٣١١٥) والترمذي (٩٧٧) وابن ماجه (١٤٤٧) . . .=

وعنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مامن عَبْدٍ تصيبُهُ مصيبةٌ فيقولُ: إنّا للهِ وإنّا إليه راجعون، اللهم أْؤجُرْني في مُصِيَبتي، وأَخْلِف لي خيراً منها، إلا أَجَرَه اللهُ تعالىٰ في مصيبته وأَخْلَفَ له خَيْراً منها» قالت: فلما تُوفي أبو سلمة، قلتُ كما أَمَرَني رسولُ اللهِ، فأَخْلَفَ الله لي خيْراً منه رسول الله ﷺ[1].

وكانت أم سَلَمة من العاقلات النبيهات، اللواتي يأخذ رسول الله ﷺ برأيهن، كما حدث يوم الحديبية حين أمر رسول الله أصحابه أن ينحروا بعد توقيع الصلح مع وفد قريش، ولكنّ الصحابة لم يستجيبوا لأنهم رأوْا أنّ هذا الصلح فيه هضم لحقوق المسلمين فدخل ﷺ على أم سلمة وهو حزين فذكر لها ما كان من أمر المسلمين فقالت رضي الله عنها: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج ولا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُـدْنَكَ وتدعو حالِقَكَ فيحلقك، وعمل الرسول ﷺ برأيها، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلِق بعضاً... وتقدم العمر بأم سَلَمَة وتُوفيت عن أربع وثمانين سنة وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن[2].

الصحابيـة: أسمـاء بنـت أبي بكـر رضـي الله عـنهـا ذات الـنّطـاقيـن

من الصحابيات الجليلات، صحابيّة مشهورة في التاريخ الإسلامي هي: أسماء ذات النطاقين وأم عبد الله بن الزبير الذي سنذكر نُـبْـذةً عن حياته وحواره مع أمه حين حاصره الحجاج في مكة وفي بيت الله الحرام، ورغم

= و(١٥٩٨)] «أعقبني»: أي: أبدلني وعوّضني. وانظر: رياض الصالحين، كتاب عيادة المريض.

(١) [مسلم (٩١٨) (٤)].

(٢) [البخاري (٢٧٣١ و٢٧٣٢)] جزء من حديث طويل في كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد.

حبها لابنها ، لم تفضله علىٰ نصرة الحق ضدّ الظالم.

«قال المؤرخون: عُمِّرَت أسماء مئَـةَ عام ولم يسقط لها سِنٌّ ولا ضِرْسٌ ، ولم يَغِبْ من عقلها شيءٌ».

صحابيتنا هذه جَمَعَتِ المجدَ من أطرافه كلِّها فأبوها صحابيّ ، وجَدُّها صحابيٌّ ، وأُخْتُها صحابية ، وزوجها صحابيّ ، وابنها صحابيّ... وحَسْبُها بذلكَ شَرَفاً وفخراً.

أما أبوها فالصِّدِّيقُ خليلُ الرسول الكريم في حياته ، وخليفته من بعد مَمَاتِهِ.

وأما جَدُّها: فأبو عتيق والدُ أبي بكر ، وأختها أم المؤمنين عائشة الطّاهرةُ المبرَّأة رضي الله عنها ، وأمّا زوجها فحواريُّ[1] رسول الله ﷺ: الزبيرُ بنُ العوّام ، وابنها عبد الله بنُ الزبير رضي الله عنهم أجمعين»[2].

«وأمّها: قتيلة بنت عبد العزّىٰ... العامرية صاحبة الشجاعة الفائقة ، الشاعرة الناثرة ، وهي ذات منطق وبيان فصيح»[3].

«كانت أسماء من السابقات إلى الإسلام ، إذْ لم يتقدَّم عليها في هذا الفضل العظيم غيرُ سبعةَ عَشَرَ إنساناً من رجل وامرأة.

وقد لُقِّبَتْ بذات النطاقين لأنّها صنعت للرسول الله ﷺ ولأبيها يَـوْمَ هاجرا إلى المدينـة زاداً ، وأعدَّتْ لهما سِقَـاءً[4] فَلَمَّا لم تَجِدْ ما تربطُـهُما بـه ، شَقَّتْ نطاقها[5] شِقَّيْن ، فربطتْ بأحَدِهِما المِزْوَد[6] وبالثاني السِّقـاءَ

---

(١) الحواري: النصير.
(٢) صوَر من حياة الصحابة (ص ٥٧ ـ ٥٨).
(٣) نساء حول الرسول (ص ٣٤٤).
(٤) سقاء: قربة يوضع بها الماء.
(٥) النِّطاق: ما تشدُّ به المرأة وسَطَها.
(٦) المزوَد: ما يوضع به الزاد.

فدعا لها النبيُّ ﷺ أن يُبْدِلها الله مِنْهما نطاقين في الجنة فلقِّبَتْ لذلك بِذات النِّطاقَيْن»[1].

والحديث الشريف يوضح ذلك، فعن أسماء رضي الله عنها قالت: صنعت سُفْرةَ رسول الله ﷺ في بيت أبي بكرٍ، حين أرادا أن يهاجرا إلى المدينة، قالت: فلم نجدْ لِسُفْرَتِهِ، ولا لِسقائِهِ ما نَرْبِطُهما به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجِدُ شيئاً أربط به إلاّ نِطاقي، قال: فَشُقّيهِ باثنينِ فارْبطيهِ: بواحدٍ السِّقاء وبالآخر السُّفْرةَ، فَفَعَلْتُ، فلذلك سُمِّيت: ذاتَ النّطاقين[2].

«ومن حُسْنِ إسلامها أنّ أمها «قتيلة» قد طَلَّقها والدها الصدِّيق في الجاهلية، فيذكر أنَّ «قتيلة» قدمت على ابنتها أسماء بنت الصّديق ذات يومٍ لزيارتها، تحمل لها هدية، وكانت «قتيلة» مشركة على دين قومها. وكان معها ابنها الحارث بن مدرك بن عمر بن مخزوم، فأَبَتْ أسماء أن تقبل هديّتها حتى تسأل رسول الله ﷺ، فسألته، فأنزل الله تعالى على نبيّه الكريم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. فأدخلتها أسماء وقبلتْ هديتها.. بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم صِلي أمَّكِ»[3] والحديث: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة، في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلتُ: وهي راغِبَةٌ، أفأصِلُ أمي؟ قال: «نعم، صِلي أمَّكِ»[4].

تزوجت أسماء الزبير بن العوّام، وكان شاباً مرملاً[5].. ليس له مالٌ يوسِّع به على عيالِهِ غير فَرَسٍ اقتناها، فكانت أسماء له نِعْمَ الزوجةُ

---

(١) صوَر من حياة الصحابة (ص ٥٨ ـ ٥٩).
(٢) [البخاري (٣٩٧)] كتاب مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي وأصحابه.
(٣) انظر: نساء حول الرسول (ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥).
(٤) [البخاري (٢٦٢٠) ومسلم (١٠٠٣)].
(٥) مرملاً: فقيراً.

الصّالحةُ ، تخدِمُـهُ وتسوس فَرَسَهُ ، وترعاهُ . . حتى فتح الله عليه فصارَ من أغنى أغنياء الصَّحابة ، ولما أُتيحَ لها أن تُهاجرَ إلى المدينة . . . كانت قد أتمّت حَمْلَها بابنها عبد الله بن الزبير ، فلم يمنعها ذلك من تحمُّلِ مشاقِّ الرحلةِ الطويلة ، فما أن بلغت «قِباءَ» حتى وضَعَتْ وليدها ، فكبّر المسلمون وهَلَّلوا؛ لأنَّه كان أولَ مولودٍ يُولَدُ للمهاجرينَ في المدينَة .

فحمَلتْهُ إلى رسول الله ﷺ وَوَضَعَتْهُ في حِجْرِهِ ، فأخَذَ شيئاً مِنْ ريقِهِ وجَعَلَهُ في فمِ الصبيِّ ثم حنَّكَهُ[1] ودعا له . . . فكان أولَ ما دخَلَ في جوفه ريقُ رسول الله ﷺ .

وقد اجتمع لأسماء بنت أبي بكر من خصائل الخير وشمائل النُّبل ورجاحة العقل مالم يجتمع إلاّ للقليل النّادر من الرجال . . . ويضربُ بجودها المَثَلُ : حدَّثَ ابنها عبد الله قال : ما رأيتُ امرأتينِ قطُّ أجود من خالتي عائشة وأمي أسماء رضي الله عنهما ، لكن جودَهما مختلف .

أمّا خالتي فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها ما يكفي قَسَمتْهُ بين ذوي الحاجاتِ . . . وأمّا أمي فكانت لا تُمْسِكَ شيئاً إلى الغد . . . »[2] .

« . . . . وكانت هجرة الرسول الكريم ﷺ بصحبة الصدّيق رضي الله عنه إلى أن وصلا إلى غارٍ بجبل ثور فدخلاه . . وكان لأسماء وأخيها عبد الله الدّور الكبير في إيصال المعلومات والمؤن كلّ ليلة . . . فكانا يذهبان إلى الغار كلّ ليلة . . . أمّا عبد الله فكان يزوِّد الرسول ﷺ بالأخبار عن قريش وتحرّكاتهم ، وأما أسماء فكانت تزوِّد الرسول ﷺ وأباها بالطعام والشراب»[3] .

وإذا نسي التـاريخ لأسمـاء مواقفها كلها ، فإنـه لا ينسىٰ لها رجاحة

---

(١) حنكه : مضغ شيئاً ووضعه في حنكِهِ .
(٢) صور من حياة الصحابة (ص ٥٩ ـ ٦١) .
(٣) نساء حول الرسول (ص ٣٤٧) .

عقلها ، وشدّة حَزْمها ، وقوّة إيمانها ، وهي تلقىٰ ولدها عبد الله اللقاء الأخير .

وذلك بعد موت يزيد بن معاوية ، حيث بُويع لعبد الله بن الزبير بالخلافة فدانت له الحجاز ومصر والعراق وخُراسان ، وأكثر بلاد الشام ، لكن بني أميّة ما لبثوا أنْ سيّروا لحربه جيشاً لجباً بقيادة الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فدارت بين الفريقين معارك طاحنةٌ أظهَرَ فيها ابن الزبير من ضروب البطولة والشجاعة الكثير ، غير أن أنصاره جعلوا ينفضّون عنه شيئاً فشيئاً؛ فلجأ إلى بيت الله الحرام واحتمى ومَنْ معه في حِمى الكعبة المعظّمة . . . وقبيل مصرعه بساعات دخل على أمه أسماء وكانت عجوزاً فانية قد كُفَّ بصرُها ، فقال : السلام عليك يا أمّه ورحمة الله وبركاته . فقالت : وعليك السلام يا عبد الله . . . ما الذي أقدمَكَ في هذه الساعة ، والصخور التي تقذفها منجنيقات الحجّاج على جنودك في الحَرَم تهزُّ دور مكة هزّاً؟ قال : جئت لأستشيرك . . لقد خذلني الناس وانحازوا عنّي رهبةً من الحجّاج أو رغبةً بما عنده حتى أولادي وأهلي انفضّوا[1] عني ، ولم يبق معي إلا نفر قليل من رجالي . . . فما تَرَين؟ فَعَلا صوتها وقالت : إن كنت تعتقد أنك على حقٍّ ، وتدعو إلى حقٍّ ، فاصبرْ وجالِدْ كما صبر أصحابك الذي قُتلوا تحت رايتك . . وإن كنت تُريد الدنيا فلبئس العبدُ أنت ، أهلكت نفسك ورجالكَ ، قال : ولكني مقتول لا محالة ، قالت : ذلك خيرٌ لك من أن تُسلِّم نفسك للحجاج مختاراً . . قال : أخاف أن يمثّلوا بي . قالت : الشاة المذبوحة لا يؤلمها السَّلْخُ . . فأشْرقت أَساريره ، وقبّلها . . . وقبّلته ونزع درعه ودعت له : اللهم إني سلّمتُه لأمرِكَ ، ورَضيتُ بما قضيتَ لَهُ؛ فأَثِبْني عليه ثوابَ الصابرين ، ولم تغرب الشمس إلا وقد لَحِق عبد الله بجوارِ ربّهِ[2] .

---

(١) انفضّوا : تفرّقوا .

(٢) صوَر من حياة الصحابة (ص ٦٣ ـ ٧٠) باختصار (وبعد مصرعه ببضعة عشر يوماً لحقت أسماء بابنها) .

رابعاً: المعاملة باللطف والإيناس

المعاملة اللطيفة الحسنة مع الآخرين يكون مردودها طيّباً ، ولا يمكن للمرء إذا أراد أمراً من آخر أن يصل لبغيته ، إلا باللين والإحسان ، ورحمَ من قال :

أَحْسِنْ إلىٰ الناسِ تستعبدْ قلوبَهُمُ فلطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

فالإحسان بالمعاملة ينمّ عن خُلُقٍ فاضل وسجيّة طيبة ، ويكون مردود هذه المعاملة الطيبة أجدىٰ وأنفع مع الأطفال في تربيتهم ووعظهم وإرشادهم ، لأن الكلمة الطيبة لها موقعها الحسَن عند المتلقّي .

«إنّ المربين المسلمين دعوا إلى أن يتعامل المعلم مع طلابه بروح المحبَّة والتسامح ، لا بروح الإجبار ، والعنف ، والتّسلّط ، لأن العنف قد يقابله عنفٌ من الطالب نفسه ، وقد يغرس في نفس الطالب بذور الكراهية للمعلم ، لكنَّ المعلم في المقابل ، عليه ألاّ يكون متهاوناً مع الطالب إلى درجة الضَّعف ، بل عليه أن يكون ليّناً في غير ضَعْف ، وحازماً في غير عنف .

ومما قاله ابن سحنون ـ أحد المربين المسلمين ـ في كتابه «آداب المتعلّمين» : «علّموا ولا تُعنِّفوا ، فإن المعلِّم خير من المعنِّف»[1] .

وتوجيه المعلم في كيفية معاملة التلميذ ينسحب أيضاً على الوالدين في التربية داخل البيت ، ومن الممكن أن نحصل على ما نريد بالرّضا واللطف ، دون الغضب والعنف .

وقد يحتاج المربي أو المعلم إلى استعمال الشدَّة في تحقيق المبادىء

---

(١) انظر : الطفولة في الإسلام ولمحة عن المراحل التي تليها : د. سليمان أحمد عبيدات ـ عمان الأردن ، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م (ص ١٤٠) .

التربوية وتعويد الأولاد على تنفيذها واستعمال طريقة الثواب والعقاب للوصول إلى الغاية المرجوّة.

نظرة علماء الفكر الإسلامي إلى الثواب والعقاب:

تعريف الثواب: هو ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله، فيسمّىٰ الجزاء ثواباً تصوراً أنه هو هو، ألا ترى كيف جعل الله تعالى الجزاء نفس العمل في قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

ولم يقل جزاءه. والثواب يقال في الخير والشرّ، ولكن الأكثر المتعارف في الخير، وعلى هذا قوله عزّ وجلّ:

﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥][1].

والعقاب: والعُقْبُ والعُقبىٰ يختصّان بالثّواب نحو: ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤]. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]، والعاقبة إطلاقها يختصّ بالثواب نحو: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، والعقوبة والمعاقبة والعِقابُ يختصُّ بالعذاب، قال تعالى: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤]، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦].

وقد وردت كلمة «عقاب» ومشتقاتها في القرآن الكريم ستاً وعشرين مرة، والثواب ومشتقاتها عشرين مرة[2].

والعقوبة في القانون الوضعي هي عبارة عن «قدر مقصود من الألم يقرّره المجتمع مثلاً في مشرّعِهِ ليوقع كرهاً على من يرتكب جريمة في القانون بمقتضىٰ حكم يصدره القضاء»[3]، والعقوبة في الشريعة الإسلامية هي عبارة عن «مؤيّد شرعيّ الغاية منه: ضَمان نفاذ الأحكام الشرعية الأصلية التي

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: للأصفهاني (ثوب ص ١٨٠ وعقب ٥٧٥).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٣) قانون العقوبات القسم العام: محمد زكي أبو عامر (ص ٣٧٠ ـ ٣٧١).

شُرِّعتْ لتحقيق مصالح العباد على وجهٍ يوفِّر العدالة بينهم»[1].

نظرة ابن خلدون إلى العقاب:

لقد نظر ابن خلدون إلى العقاب نظرة شموليّة، واسعة، حيث تناول الآثار المترتبة على العقاب، وما يُعانيه المعاقَبُ من: توتّرٍ في النواحي النفسية والانفعالية.

لقد اعتبر ابن خلدون أنّ العقاب مضرٌّ بالإنسان، والذي يُعاقَب قد تهتزُّ شخصيَّتُهُ، ويعيش حياة الذلّ والمهانة، وقد يثور علىٰ مَنْ عاقَبَهُ، وفي ذلك يقول: «فإن الملِكَ إذا كان قاصراً باطشاً بالعقوبات، منقِّباً عن عوْرات الناس، وتعدادِ ذنوبهم، شملهم: الخوفُ والذّلُّ ولاذوا منهُ بالكذب، والمكر، والخديعة، وفسدت بصائرهم، وأخلاقهم، وربما خذلوه في مواطن الحروب، والمدافعات، ففسدت الحماية بفساد الثّبات»[2].

يرىٰ ابن خلدون أنّ اتخاذ العقاب وسيلة للإصلاح، سواء في الصنائع، أو في التعلّم، أو من جانب الحاكم بالمحكومين، تكون نتيجته نقصاً في الناس، وعدم وجود قدرة للأفراد يدفعون بها عادية الزمن مع إصابتهم بالجبْن، والخوف، والضَّعْف في النفوس، وعدم الثقة في ذاتيَّتهم وفي غيرهم[3].

ويقول ابن خلدون: «... ومن أحسن مذاهبِ التعليم ما تقدّم به الرشيد لمعلِّم ولده محمد الأمين فقال: يا أحمد إنّ أمير المؤمنين قد دفعَ إليكَ مهجة نفسه وثَمَرَةَ قلبه فصيِّرْ يدَكَ عليه مبسوطةً، وطاعتهُ لكَ واجبة، وكن له

---

(١) المدخل الفقهي: أحمد الحجي الكردي (ص ٩) وانظر: التربية الإسلامية عند الغزالي: أيوب دخل الله (ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(٢) مقدمة ابن خلدون: (٢/ ٥١٥).

(٣) المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون: عبد الله الأمين النعيمي (ص ٨٨).

بحيث وَضَعَكَ أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرِّفه الأخبارَ ، وروِّه الأشعار ، وعلِّمه السُّنَنَ ، وبَصِّرْهُ بمواقع الكلام وبَدْئِهِ وامْنَعْهُ من الضَّحِكِ إلاّ في أوقاتِهِ ، وَخُذْهُ بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليهِ ، ورفْع مجالس القوّاد إذا حضروا مجلِسَهُ ولا تمُرَّنَّ بكَ ساعةٌ إلا وأنْتَ مغتنمٌ فائدة تفيدهُ إيّاها من غير أنْ تُحْزِنَـهُ ، فتميتَ ذِهْنَهُ ، ولا تُطِلْ في مسامَحَتِهِ فيسْتحلي الفراغَ ويألَفَهُ ، وقَوِّمْهُ ما استطعتَ بالقرْبِ والملايَنَةِ ، فإنْ أباهما ، فعليْكَ بالشِّدَّةِ والغِلْظة»[1].

إنّ ابن خلدون يتبنّىٰ أسلوب الرشيد الذي أراده لولده ، وفي الحقيقة إن هذا الأسلوب يوضِّح المنهج التربوي الصحيح ، ومتى يجب استعمال اللّين واللّطف ومتىٰ يجب استعمال الشدّة والعنف.

الثواب والعقاب في رأي القابسي:

القابسي يؤمن بالثواب والعقاب «فكما أنّ المحسن يجب أن ينال جزاء إحسانه ، فإنَّ المسيءَ يجب أن ينال جزاء إساءته. . . والقابسي يعتبر العقاب على درجات: تتدرّج من اللوم ، إلى الإنذار ، إلى التهديد ، إلى الوعد والوعيد ، فلا يجوز للمعلم أن يستعمل الضرب مع الطالب إلا إذا كانت جميع الوسائل التي استعملها قد فشلت في ردعه ، عندئذٍ يمكن للمعلم أن يلجأ إلى الضرب؛ بغرض تغيير السلوك غير المرغوب فيه ، إلى السلوك الفاضل. . . وليس الغاية التشفّي من الطالب. . .»[2].

والطريقة نفسها يجب أن يتبعها الأب في تربية ولده.

مداعبة الأولاد وتعليمهم الرياضة:

من أهم واجبات الأبوين: إدخال البهجة والسرور على قلب الطفل.

---

(١) مقدمة ابن خلدون: دار الفكر ، (ص٥٤١) الفصل ٣٢ في أن الشدّة على المتعلمين مضرَّة بهم.

(٢) الطفولة في الإسلام ولمحة عن المراحل التي تليها (ص ١٤٢).

فتسلية الطفل تدخل في المنهج التربوي الإسلامي ، فالطفل الذي ينمو في جو من الغبطة والفرح يجعله يتعلّق بهذا الجو الذي يؤمِّن له ما يُبعده عن المنغّصات ، وهو جو البيت الذي يجعل ساعة فرحه وانبساطه حينما يكون في بيته بين والديْه وإخوته .

«وقد كان عليه الصلاة والسلام يسعى جهده لإدخال السرور إلى نفوس أحفاده على الرغم من كثرة مشاغله ، فكان يداعب الأطفال ويحبّهم ، وقد امتطاه بعض أحفاده ، وهو ساجد بجماعة المسلمين ، واستمر ساجداً حتى انتهىٰ الطفل ، وظنَّ أصحابه أنّه قُبِض ، وكان يداعب زينب بنت أم سَلَمة ـ زوجته ـ .

كما كان يدلع لسانه للطفل ـ أي يخرجه من فمه ويحرّكه ـ ليضحكه .

ويمكننا أن نقول: إنَّ الأبويْن مقصِّران جدّاً في هذا المضمار ، وهما علاوة علىٰ إهمالهما إدخال السرور إلى نفوس أطفالهما ، يجعلان البيت بصرامتهما وقساوتهما وتدخلهما بما لا يعني: جحيماً لا يُطاق ، فيختلس الولد الفرصة للفرار منه والارتماء في أحضان الشارع حيث يجد فيه الحريّة والفرح بين أولاد الأزقّة الذين يُفسدون تربيته في كثير من الأحيان»[1] .

وبما أن الرسول ﷺ يراعي الأطفال حاجتهم للمداعبة والمرح ، بالركض تارة ، وبالحمل تارة أخرىٰ ، وبما أنّه ﷺ هو القُدوة الحسَنة للمسلمين ، فعلينا أن نسامر أطفالنا ، ونداعبهم ، ونلاعبهم ، ونتصابىٰ معهم .

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ: أحسن الناس خُلُقاً ، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير ـ وهو فطيم ـ كان إذا جاءنا قال: «يا أبا عمير ما فعلَ النُّغيْر؟»[2] .

---

(١) نحو أسرة مسلمة: محمود مهدي الإستانبولي (ص ٨٤) .

(٢) [البخاري (٦١٢٩) ومسلم (٢١٥٠)].
والنُّغَيْر: طائر منقاره أحمر . وهو تصغير: نغر .

وعن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يصفّ عبد الله وعبيد الله وكثيرا أبناء العباس رضي الله عنهم ثم يقول: «مَنْ سبَق إليَّ فله كذا وكذا» قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبّلهم ويلتزمهم»[1].

فما هي الآثار النفسية على الأطفال من مداعبة وممازحة ذويهم لهم؟ الجواب: «إن مصاباة الطفل وملاعبته تنمّي في نفسه وتساعده على إظهار مكنونها... قال الحافظ ابن حجر معلقا:

«وإنّ الممازحة بالقول والفعل مع الصغير إنما يُقصد به التأنيس، والتقبيل من جملة ذلك»[2].

إن المشرّع الإسلامي عندما يطالب المربين بالتصابي مع الأطفال أو بإغداق الحب والحنان عليهم وبتقبيلهم، محتسباً بمشاعر الرعاية الكاملة في هذه المرحلة دون أن يصاحبها نمط ما من التدريب والأمر... وحين يطالبنا رسول الله ﷺ بالتصابي مع الأطفال ندرك سرّ ذلك؛ لأنّه يترك أثرا على مشاعر الطفل وبنائه النفسي[3].

أوصى النبي ﷺ أن يكون راعي البيت طيّبا في معاملته مع أهل بيته، ليّنا مع أولاده وأن يوسّع على عياله قال ﷺ: «إذا أنفق الرّجُلُ على أهله نفقةً يَحْتَسِبُها فهي له صدقَـةٌ» متفق عليه[4]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: (١/ ٢١٤).

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني (١٣/ ٣١).
وفي صحيح البخاري: أحاديث عدة من رقم: (٥٩٩٤ ـ ٥٩٩٨) كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

(٣) انظر: الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية: سهام مهدي حمار (ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

(٤) [البخاري (٥٥) و(٥٣٥١) ومسلم (١٠٠٢) «يحتسبُها»: أي: يقصد بها وجه الله والتقرب إليه، وانظر رياض الصالحين، باب: النفقة على العيال.

رسول الله ﷺ قال: «إذا ماتَ الإنسانُ انقَطَعَ عَمَلُهُ إلا من ثلاث: صَدَقَةٍ جاريَةٍ، أو عِلْمٍ ينتفَعُ به، أو وَلَدٍ صالحٍ يدعُو له» رواه مسلم[1] وغيره. قال معقل بنُ يسار: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما مِنْ عَبْدٍ استرعاهُ اللهُ رعيَّةً، فلم يُحْطِها بنصيحةٍ، إلا لم يجدْ رائحة الجنّةِ»[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علّموا أولادكم السباحة والرماية، ومُرُوهُمْ، فَلْيَثِبُوا على ظهور الخيل وَثْباً».

ويأتي اهتمام الإسلام بمداعبة الأولاد وملء أوقات فراغهم بما ينفعهم، ويعود عليهم في المستقبل بالخير والبركة والقوة، فللجسم مطالب، وللروح حقوق، والوالد الصالح هو الذي يعتني بالأمرين، فلا إفراط ولا تفريط.

وللرياضة[3] دور هام في حياة المسلم، فهي تسدّ الفراغ، وتشفيهِ من الأمراض، وتعوّده على القوّة والتحمُّل والصَّبر، وقد تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ثم قال: «ألا إنَّ القوّةَ الرمي، ألا إنَّ القوّة الرمي»[4].

في الآية الكريمة التي جاءت بصيغة الأمر من الله تعالى بأن نعدّ ما استطعنا من قوة لمواجهة كل طارىء، والقوة ليسَتْ بالسلاح فقط، وإنما بالقوة الجسدية التي تكون بتربية الجسم تربية صحيحة ليصبح الجسم قويّاً سليماً في صحته، قويّاً في فكره وعقله؛ لتحقيق: «العقل السليم في الجسم السليم». وهذا الإمام الغزالي رحمه الله يقول:

---

(١) [مسلم (١٦٣١) وأبو داود (٢٨٨٠) والترمذي (١٣٧٦) والنسائي (٦/ ١٠٢)].

(٢) [البخاري (٧١٥٠) ومسلم (١٤٢)].

(٣) انظر: حق الوالدين على الأبناء (ص ١٣٤ ـ ١٣٦).

(٤) رواه مسلم في الإمارة باب فضل الرمي حديث (١٩١٧) وأبو داود (٢٥١٤) في الجهاد باب: الرمي، وابن ماجه في الجهاد (٢٨١٣).

«فالبدن مركبةُ الذي يصل به إلى هذا العالم ، فافتقر إلى تعهّد البدن وحفظه ، وإنّما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره ، وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك . . . إنَّ كل عضو من أعضاء البدَن خُلقَ لفعل خاص به وإنّما مرضه أن يتعذّر عليه فعله الذي خُلِقَ له . . . فمرض اليد أن يتعذّر عليها البطْشُ ، ومرض العين أن يتعذّر عليها الإبصار ، وكذلك مرض القلب أن يتعذّر عليه فعله الخاص به الذي خُلق لأجله . وهو : العلم ، والحكمة ، والمعرفة ، وحب الله تعالى وعبادته والتلذّذ بذكره ، وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه»[1] .

ويعتمد الغزالي في عملية رعاية الجسد على تعاليم الإسلام ، قال ﷺ: «إنَّ لجسمك عليك حقا»[2] .

فالحديث الشريف يؤكد على ضرورة مراعاة الجسم ، ويعتبر الرعاية الصحية وممارسة الرياضة من أبرز المجالات الحيويّة[3] .

وسائل اللهو المباح :

يسعى الدّين الإسلامي إلى إنشاء المجتمع الصالح بتهيئة وتنشئة الفرد الصالح ، والإسلام أكّد على التزام المسلمين بتوجيهات المنهج التربوي الإسلامي الذي غايته صالح الفرد ، وتكوين شخصيّته الواعية والفاضلة ، وهذا لا يأتي إلاّ بتنفيذ ما دعا إليه القرآن الكريم والحديث الشريف من إعداد المرء لجسمه وفكره على أحسن وجه ، ولقد ذكرنا أنّ الرسول ﷺ كان يلاعب الأطفال ويداعبهم ويدخل السرور على قلوبهم ، ولم يبق إلا أن يقتدي المسلم برسوله الكريم ويلاعب أطفاله ، ويشيع الفرح والسرور في بيته ، ويوجّه أطفاله لممارسة الألعاب المفيدة ، وشغل وقت الفراغ . وهناك

---

(١) الإحياء : الغزالي (٣/ ٦ و٧) و(٦٨) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الصوم حديث رقم (٥٥) .

(٣) التربية الإسلامية عند الغزالي : أيوب دخل الله (ص ١٦٤ ـ ١٦٦) .

وسائل متعددة يمارسها الطفل ، وهي من وسائل اللهو المباحة والمفيدة ، ومنها :

التسابق على الأقدام ـ الجري ـ سباق الدّراجات . . . وغير ذلك .

وكان النبي ﷺ يسابق زوجته عائشة رضي الله عنها . قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبَقْتُهُ ، فَلَبِثْتُ حتى إذا أرهقني اللحم ـ أي : سمنت ـ سابقني فسبقني ، فقال : «هذه بِتِلْكَ»[1] .

ومن وسائل اللهو المباح «المصارعة» فقد صارع رسول الله ﷺ «رُكانَةَ» فصرَعَهُ النبيُّ ﷺ أكثرَ من مرّةٍ .

ومنه أيضاً : «اللعب بالسِّهام والحِراب» فقال ﷺ : «ارموا وأَنا مَعَكُمْ كُلُّكُمْ»[2] .

وهناك بعض الناس يتخّذون من الأنعام والطيورِ أهدافاً للصراع والسِّباق ، وأيضاً مصارعة الثيران! وهذا لا يجوز لقوله ﷺ : «لَعَنَ اللهُ مَنِ اتّخذ شيئاً فيه الروح غَرَضاً»[3] . متفق عليه .

وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه ، وعن الوسْمِ في الوجه[4] .

ومن ألوان اللهو المباح «الصَّيْدُ» .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ٤][5] .

---

(١) [أحمد (٦/ ٣١/ ٣٩ ، ٢٦٤)] .
(٢) صحيح البخاري [(٣٣٧٣)] .
(٣) [البخاري (٥٥١٥) ومسلم (١٩٥٨)] .
(٤) [مسلم (٢١١٧)] .
(٥) حق الوالدين على الأبناء : يوسف علي بديوي (ص ١٣٦ ـ ١٣٧) .

وهناك وسائل أخرى من اللهو البريء الذي أباحه الشرع ما دام لا يمنع المسلم عن أداء فروضه وعبادته.

اللَّعبُ والطِّفْلُ:

لقد أحلّ الإسلام كلّ شيء من لهو أو غيره إلا إذا صدر نصٌّ بتحريمه وتركه، ولكن هناك بعض أدوات اللّهو أُحدثَتْ ويُمارسها الكثير من المسلمين، فإذا لم تؤدِّ في النتيجة إلى رهانٍ كانت مُباحة، أمّا إذا كان من شروط اللعب دفع المال، أي فيه رهان، فهذا حرامٌ لأنّه يدخل في باب القمار.

ومن اللهو المباح «الشطرنج» وهو حلال بشروط:

- ألاّ يؤخّر اللاعب صلاةً عن وقتها.
- ألاّ يُشترط الرهان لكونه قماراً.
- أن يحفظ اللاعب لسانه من بذاءة الكلام وفحش اللسان.

فكل هذا اللّهو له أهداف صالحة من الترويح عن النفس، وإعادة النشاط والحيويّة، والتدريب على القوة في الجسم والعقل، وكل ذلك ليكون المسلم ـ إضافة لقوّة إيمانه ـ قوياً في عقله وجسمه[1]، فالرياضة البدنية وألعاب الرياضة بمختلف أنواعها من ألعاب كرات، وألعاب قِوى، والسير في الأماكن الفسيحة في الهواء الطلق بشكل منتظم كل ذلك يعود بالفائدة. والشرع الحنيف لم يحرم الطفل من إشباع رغباته البريئة في اللهو والمرَح والضحك وقضاء أوقات فراغه في راحة واستجمام، والنبي ﷺ شجّع على ذلك وحبّذه، كي لا ندفع إلى المجتمع مضطرباً نفسياً، عانىٰ من الكبت والحرمان بتفريغ شحنات الجسم الحيوية، وما دام كل لهو لا يدعو لأشياء خبيثة؛ فهو مباح وحلال.

والإمام الغزالي التفت إلى أنَّ اللّعب حاجة أساسية بالنسبة إلى الطفل،

---

(١) المصدر السابق.

وضرورة من ضروريات نموه الجسمي والعقلي والوجداني ، وأنَّ الحياة لا يمكن أن تكون للعلم وحده ، فالعمر كلّه لا يتّسع لجميع العلوم. كما أنَّ إرهاق الطفل بالعلم يميت القلب ، ويعكّر مزاجه وحياته ، ولذلك دعا الغزالي إلى تخصيص وقت يلعب فيه الطفل بعد أن يؤدي واجبه من الدرس: «فإذا انصرف الصبي ، فليؤذن له أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب... فإنَّ منع الصبي من اللّعب ، وإرهاقه بالعلم ، يميت قلبَهُ ، ويُبْطلُ ذَكاءَهُ ، وينغِّصُ عليه العَيْشَ»[1].

فالأب الواعي والمربي الجيد لا يحرمان الطفل من أن يروّح عن نفسه ويمارس مع زملائه في المدرسة أو مع رفاقه في الحيّ الألعاب المفيدة التي تجعله يمتلىء نشاطاً وحيويّة ، وهذا مما يساعد التلميذ في تفتيح ذهنه وتنشيط فكره.

خامساً: البناء البَدَني والصِّحي

التربية الصحية مهمّة في بناء جسم الإنسان ، وفي التربية الصحيّة فوائد شتىٰ ، فإنّها تمنح الجسم السّلامة لأعضائه ، والرّاحة النفسيّة لأفكاره ، والاتّزان في حركاته ، وأهم ما يجب أن نفعله في بناء الجسم: ممارسة الرياضة البدنية ، وتعلّم السباحة ، والرّماية ، وركوب الخيل؛ وهو ما حثّنا على تعلّمه رسولنا الكريم ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم.

لقد أنعم الله علينا بهذا الجسم الذي نملكه ، فكيف نهمله وقد وصّانا رسول الله ﷺ بالعناية به فعلينا أن نعطيَه حقّه ، قال ﷺ: «فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حقّاً ، وإنّ لعينيك عليْكَ حقّاً ، وإنّ لزوجكَ عَلَيْكَ حقاً ، وإنّ لزَورك عليك حقاً»[2].

---

(١) مجلة الفيصل السعودية عدد ٥٢ (ص ٢١).

(٢) [البخاري (١٩٧٥) ومسلم (١١٥٩)].

إنّ التربية الجسدية «تهدف إلى تمكين التكوين العضوي في الإنسان من القيام بوظيفته»[1] . . . من أجل ذلك دعا الإسلام إلى تعلّم السّباحة والرّمي وركوب الخيل ، وذلك في التوجيهات النبويّة الآتية :

١ ـ **السباحة** : تُعتبر السباحة «وسيلة رائعة ذات تأثير مثمر في نموّ الطفل وخبرة يعوّل عليها كثيراً في الحياة العملية ، وبالإمكان البدء بها في السنة الرابعة ـ الخامسة للطفل على أنْ يَتمَّ تعلُّمها بشكل تدريجي . . .»[2] . وهذا نَبيُّ الهُدىٰ عليه الصلاة والسلام ، سَبَحَ وهو صغير في بستان أخواله بني النّجار ، ولعب مع الصبيان[3] .

وقد كتَب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الولاة ما يلي : «أمّا بعد فعلِّموا أولادكم الرّماية والسِّباحة وركوب الخيل . . .»[4] .

٢ ـ **الرماية وركوب الخيل** : قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

والنبيّ ﷺ : عرّف أنَّ القوة هي الرمي . . . كما ذكرنا سابقاً ـ والرماية هي الآن كل ما نستطيعه من عمليات حربية في السلاح لرمي العدو من الرّصاصة إلى الصّاروخ ـ ومن الفوائد في الرّماية : «نمو الحركة الحيويّة في الجسم ، وتوفير القوى البدنية التي يحتاجها المحارب القوي المؤمن ، وتقوية الإرادة عند المسلم وتعويده الاعتماد على الله سبحانه وتعالى ثم على نفسه وقدرته»[5] .

---

(١) الوجيز في الطب الإسلامي : هشام إبراهيم الخطيب (ص ١١٤) ، دار الأرقم ، عمان ط ١ : ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .

(٢) صحة وتربية الأطفال من مرحلة الحمل حتى المراهقة : د. م. ياسنودينيكين (ص ٢١٣) .

(٣) منهج التربية النبوية للطفل : محمد نور سويد (٢١١) .

(٤) تربية الأولاد في الإسلام : عبد الله ناصح علوان (٢/ ٨٨٨) .

(٥) علم النفس التربوي في الإسلام : يوسف مصطفى القاضي وآخر (ص ٤٢١) . =

وركوب الخيل من أنواع الرياضة الجميلة والمفيدة ، وفيها تربية للجسد وتقويته . فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : قال : «إنَّ رسول الله ﷺ سابَقَ بين الخيْل التي أضمرت ، من الحفياء ، وأمَدُها ثنيَّة الوداع ، وسابق بين الخيل التي لم تضمّر من الثنية إلى مسجد بني زريق»[1] . وقال ﷺ : «لا سَبْقَ إلاّ في خفٍّ أو حافِرٍ أو نَصْلٍ»[2] . وحث الرسول ﷺ على تعلُّم الفروسية لِما لَهَا مِنْ أثر في تربية الجسد وقوته فيقول : «الخيل معقودٌ في نواصيها الخيْرُ إلى يومِ القيامَةِ والأجْرُ والمغْنَمُ»[3] .

وهنالك أنواع أخرى للرياضة البدنية منها : المشي ، والركض ، والمصارعة والصيد وجميع ألعاب القوى ، وأيضاً رياضة اللعب بالكرة بأنواعها .

فالرياضة البدنية بأنواعها هي القوّة التي يجب أن يمارسها لتقوية جسمه ليكون مستعداً لملاقاة أعداء أرضه وحقّه ، ونُصْرة المظلومين . ومن أنواع الرياضة التي ما زالت منذ القدم تمارس لأنها تحرّك عضلات الجسم وهي «رماية السِّهام» فشدُّ السهم عن القوس والسعي لانتزاع السهم من الدريئة والعودة به إلى مكان التربّص ، كل هذه الحركات تنمّي القوة العضلية .

= وانظر : الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية (ص ٤١٦ ـ ٤١٩) .

(١) [البخاري (٢٨٧٠) و(٢٨٦٩) ومسلم (٤٢٠)] .
«الضَّمْرُ» : بسكون الميم وضمها : الهزال وخفة اللحم وقد (ضَمَرَ) الفرس : صار ضامراً .
الحفياء وثنية الوداع : مكانان ظاهر المدينة المنورة .

(٢) سنن أبي داود (٣/ ٢٩) ، باب : في السبق .

(٣) [البخاري (٢٨٤٩) مسلم (١٨٧)] كتاب الجهاد والسير ، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، وانظر : الطفولة في الشريعة الإسلامية (ص ٤١٩) .

قال ﷺ: «ستُفتَح عليكُمُ أرْضون ويَكْفيكُمُ الله فلا يَعْجزْ أحدُكُمْ أن يلْهو بأسْهُمِه»[1].

ومن المسابقات الجميلة ذات المعنى الكبير، المسابقة التي وصفتها الخنساء وجرت بين والدها عمرو السَّلمي وأخيها معاوية وهي في مَيْعةِ الصِّبا، وكان سباق الخيل هو رياضتهم المفضّلة...

قيل للخنساء: لتن مَدحْتِ أحدهما فقد هجوت الآخر، ولكن الخنساء المبدعة استطاعت أن تقول ما لم يتوقعه أحد، وقد نجحت... قالت الخنساء:

جارى أباهُ فأقبلا وهُما ... يتعاوران ملاءَةَ الفَخْرِ
حتى إذا نزَلت القلوبُ وقد ... لَزَّتْ هناك العُذْرُ بالعُذْرِ
وعلا هُتافُ النّاسِ: أيّهما؟ ... قالَ المجيبُ هناكَ: لا أدري
برزَتْ صحيفةُ وجْهِ والدِهِ ... وَمَضى غُلواؤه يَجْري
أولى فأولى أنْ يُساويهِ ... لَوْلا جَلالُ السِّنِّ والكِبَرِ
وهُما وَقَدْ بَرزا كأنّهُما ... صَقْرانِ قَدْ حَطّا عَلى وَكْرِ

وصفت الخنساء مشهدا حيا من مشاهد البيئة فإذا بنا نقف مع النّظارة نحبس أنفاسنا لنعرف نتيجة السّبق وليس بين تربين بل بين والد وابنه، وقد كانت بارعة في التخلّص من الموقف الشائك... فهي لم تحرم أخاها حقه في الفوز، ولم يبخسس أباها نصيبه من الاحترام والإجلال[2].

---

(١) [الترمذي (١٦٣٧)] في الجهاد، وقال: حسن صحيح، وانظر: الطب النبوي والعلم الحديث: للدكتور محمود النسيمي (ص ٢٣١).

(٢) الخنساء شاعرة الرثاء والوفاء: نزار نجار، دار الإرشاد بحمص ط ١ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م (ص ١٥ ـ ١٧).
«برا»: وتب. «لزّ»: شدّ وألصق. «الغلواء»: سرعة الشباب وأوله، مختار الصحاح.

سادساً: تربية الطفل عند البلوغ

ذكرنا في فقرات سابقة تربية الطفل في سنيّه الأولى في البيت ثم انتقاله إلى دور الحضانة ورياض الأطفال. وطبعاً تتدرّج التربية حسب المرحلة العمرية للطفل ، وكل المراحل تكون حسب المنهج التربوي الإسلامي ، وسنتعرّض بشكل واسع للحديث عن البلوغ والمراهقة عند الكلام عن مشاكل الطفولة والمراهقة ، غير أنّنا الآن لا نتعرّض للمشاكل التي قد تُصاحب فترة البلوغ ، بل سنتكلم عن التربية في هذه المرحلة والأسلوب الواجب اتّباعه ، لأن الطفل يصل فيها إلى مرحلة حسّاسة ومعقّدة ، فالآباء والمربّون سيجدون في هذه المرحلة نتيجةَ ما غرسوه في المراحل السابقة ، وقد تواجههم بعض الصعوبات لأنَّ نفسيّة الطفل الذي أصبح يافعاً ، والبنت التي صارت صبيّة ، والتغييرات البدنية والنفسية تكون ظاهرة بوضوح ، وأيضاً نوع السلوك قد يتغير إلى ما يشغل بال الأهل والمربّين.

لقد حدّد بعض المربين السنين الأولى من العمر مرحلة حسّاسة ومصيرية ، ونلاحظ فيها ثلاث مراحل مهمة هي الفتوة ، والبلوغ ، والشباب.

السنتان الأوليتان من هذه المرحلة متممتان لمرحلة الفترة التي هي مقدمة لدخول الذكور إلى عالم البلوغ ، وهي عين البلوغ بالنسبة للإناث ، وترافقها بعض الخصائص.

والعامان التاليان يمثّلان عالم البلوغ للأولاد ، وذروته للبنات وهو يؤدّي إلى تغييرات في الجسم والنفس ، أما جزؤها الأخير وهو سنّ ٢١ عاماً ، فيعتبر فترة الشباب.

وتتّضح إلى حدّ ما قابليات الإنسان في الأعوام السبعة من المرحلة الثالثة ، وتضعُف بعضها وتزول ، وهي حالة تحصل تدريجياً ، وينتج عن

السكون والثبات؛ الذي يظهر في أواخر هذه المرحلة استطاعة الأفراد السيطرة على ميولهم وأحاسيسهم ، وينبغي تعليمهم المقررات الاجتماعية ، وتعليمهم طريقة الحياة على طريق السلوك والعمل[1].

مقدمات البلوغ والدخول فيه:

تتغيّر شخصية الطفل من مرحلة إلى مرحلة ، وفي السنِّ التي تقرب من سنّ البلوغ يكون الطفل أصبح ما بعد المدرسة الابتدائية ، وهنا يكون التغيير أشدّ من سابقه ، لأنّ الطفل في هذه السنّ يعتريه إحساس مخالف بشكل أشدّ وأقوىٰ ، وتظهر المشاكسة ، والأب الجاهل يداوي ذلك بالعنف والقسوة فيحصل معه غير ما يتوقعه.

ويجب أن يكون الأب والمربي كلاهما رحيماً بمن معه ، رفيقاً بما يدعوه ، ليناً هيّناً ، لأنّ إيصال المعلومة أو النَّصيحة إلى الأولاد بحاجة إلى رفق ، ولين ، وتسامح ، وحلم ، وفي هذه المرحلة من عمر الأولاد تكبرُ الصعوبة عندهم في تقبّل كل ما يوعظون به لنموِّ شخصيتهم وتغيّر نفسيتهم ، فالتربية بحاجة إلى نمط مغاير لما كان يُـتَّبع في المرحلة السابقة من عمرهم ، فالحاجة إلى سعة الصدر لمعالجة هذا التغيُّر ، وقد يصاحبه جهلٌ وضَعْف ونقصٌ في كل ما هم بحاجة إليه ، فواجب الآباء والمربّين الأخذ بيدهم ومساعدتهم في تخطي كلّ صعوبة في هذه المرحلة.

من المسؤول؟:

تقع المهمة والمسؤولية في مرحلة بلوغ الطفل الذي نما عوده وقويت عضلاته وتغيّرت أفكاره ونفسيته ، وشعر بأنه أصبح غير ما كان؛ هنا ، فالآباء والمربّون ، هم الأساس في توعية الطفل النامي والفتاة الشابة ، وأنّ ما كان في الدراسة السابقة والتربية الأولىٰ سوف تظهر نتائجها وثمراتها وفي هذه

---

(١) توجيه الشباب بين المعرفة والتوعية: علي القائمي ، دار النبلاء ـ بيروت ـ لبنان (ص ٢٥٢).

المرحلة بالذّات ، فالتّربية تأخذ منحى أكثر ليونة ، لأنَّ الطفل الذي نخاطبه يجب أن نقدِّر بأنه يمكن استخراج رأيه وسماع تطلّعاته ، ونكون له أصدقاء ، فالولد في هذه المرحلة تظهر عنده رغبة في المخاصمة والقيام بأعمال كبيرة ، ويتبدل تصوّره لوالديه ، حتى يظنّ بأنهما جاهلان وغافلان ، ويميل الأولاد في الجانب الأدبي إلى مطالعة القصص العلمية والخيالية ، وتميل البنات إلى القصص الخرافية ، وهذا الأمر قد يبعدهن عن الحياة الواقعية ، ثم يتغيّر هذا السلوك وهذه الحالات بالتدريج ، ويصبح الفكر والعمل لديهم في صورة أخرى .

مشاورة الوالدين :

تؤكد كثير من الأنظمة التربوية على التشاور والتماثل الفكري مع الشخص في هذه المرحلة وذلك بشكل مباشر وغير مباشر ، فتقول إنّه لم يعد طفلاً ، ويجب أن يدخل تدريجياً ساحة الحياة ، ويجب أن يتزوّد بالاستعداد لهذا الدخول وهكذا فإنّ من الضروري القيام بعملين تجاهه :

١ ـ رفع الرقابة الشديدة نسبيّاً والتي نفّذت إزاءه في الأعوام السبعة الثانية ، وإعطاؤه الحرية إلى حدٍّ ما حتى يعمل ويكتسب التجارب .

٢ ـ مرافقته لوالديه ومعلميه كي يدرك بشكل عملي مسائل الحياة ويصبح عالماً بها .

ولاشك أن الشباب يعتبرون أنفسهم في كثير من الحالات أعلى من مستوى الأبوين وأصحّ رأياً منهم ، وذلك نتيجة الغرور والخيال ، إلا أنَّ هذه الحالة تتغيّر وتتعدّل بالتدريج من خلال تحمّل الأبوين ، وقد ذكر العالم والمؤرخ «مارك تواين»: أنه كان في مرحلة البلوغ ، يعتبر أباه جاهلاً وصاحِبَ أفكار بالية ، وأنه أكثر الناس جهلاً ، مع أنّ والده كان أستاذاً جامعيّاً ، لكنّه عند سنِّ الحادية والعشرين ، أصابته الدهشة من كثرة

المعلومات ، والمستوى العلمي الذي كان عند أبيه[1].

من ذلك تكون وظيفة الآباء والمربين في فترة البلوغ أشدّ حذراً ووعياً ومراعاةً لتطوّر شخصية الأولاد ، وهما من المجدي أن نذكر ما جاء في بعض قصَصِ القرآن الكريم بما يناسب الموقف باعتمادهم على الرحمة والسماحة ، وليتمثّلوا بما قاله رب العالمين جل جلاله لمحمد ﷺ :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[آل عمران : ١٥٩].

فإذا كان سيّد الخلق المعصوم من الخطأ ، والمبعوث بالرحمة يخاطبه الله عزَّ وجلّ بهذه الكلمات ، فما بالنا بالإنسان العادي ؟! يروى أنه دخل رجل على المأمون ذاتِ يوم فوعظه ، وأغلظ له القول ، وهو يظنّ أنّه يؤدّي رسالته على الوجه الأكمل ، حتى إذا طفح الكَيْل ، استوقفه المأمون وقال له :

يا هٰذا! إنّ الله قد أرسل من هو خير منك إلى من هو شرٌّ مني ، أرسل موسىٰ وهارون إلى فرعون ومع ذلك أمرهما الله سبحانه أن يليّنا له القول ، فقال : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤][2].

سابعاً : الحلال والحرام

تعليم الأولاد الحلال والحرام :

تعريف : كثيرا ما نسمع منذ أن كنّا صغاراً : هذا حلال وهذا حرام ، دع هذا واترك ذاك ، لا تقل كذا ، لا تفعل كذا ، كل ذلك حرام ، ويسأل الولد

---

(١) توجيه الشباب بين المعرفة والتوعية (ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(٢) مجلة الرائد : العدد ١٥٣ ، محرم ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام ـ بون ـ ألمانيا ـ (ص ٢٨).

أباه: هل عمل ذاك العمل حلال أم حرام؟ وإذا قلنا: كذا وكذا ، هل يعاقبنا الله عليه إذا كان حراماً؟

الأسئلة كثيرة والولد لا يفتأ أن يسأل ويستفسر عن كل شيء ، فمن واجب الأسرة والمدرسة أن تسير على النهج الإسلامي القويم وتبيّن لمن ترعاهم: أين الحلال ، وأين الحرام؛ كي تكون تصرفات الصغار على أساس سليم يتعوّدون على فعله ويعتادون ممارسته في كل تصرفاتهم؛ لأن قضية الحلال والحرام لا يستطيع الإنسان المؤمن أن يفتيَ بقولٍ ما ، تحسّباً من الخطأ.

ولكي نعرف كيف نتصرَّف في هذه الحياة ، علينا أن ندرك المبادىء التشريعية التي وضعها لنا الإسلام لنتبين ونتفهّم ما هو الحلال وما هو الحرام ، وما الذي نفعله صواباً ، وما الذي يكون فيه الخطأ لنتجنّبهُ ، ونبتعد عن الزّلل؛ وفي التعريفات التالية توضيح ما نبغي. يقول الأستاذ يوسف القرضاوي:

«**الحلال**: هو المباح الذي انحلّت عنده عقدة الحَظْر ، وأَذنَ الشارع في فعله.

الحرام: هو الأمر الذي نهىٰ الشارع عن فعله نهياً جازماً ، بحيث يتعرّض من خالف النهي ، للعقاب من الله في الآخرة ، وقد يتعرّض لعقوبة شرعية في الدنيا أيضاً.

المكروه: إذا نهىٰ الشارع عن شيءٍ ولكنه لم يشدّد في النهي عنه ، فهذا الشيء يسمّىٰ «المكروه» وهو أقل من الحرام في رتبته ، وليس على مرتكبه عقوبة كعقوبة الحرام ، غير أن التَّمادي فيه ، والاستهتار به من شأنه أن يجرىء صاحبه على الحرام»[1].

بعد أن عرّفنا الحلال والحرام والمكروه وفهمنا أنّ هذه الأمور الثلاثة

---

(١) الحلال والحرام: يوسف القرضاوي: المكتب الإسلامي بيروت ، دمشق ، عمان ط ١٥ (١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م) (ص ١٧).

يتعرّض فاعلها إمّا إلى الرّضا وإمّا إلى المحاسبة والجزاء من قِبَلِ الشارع الحكيم؛ والحذَرُ في كل قول أو فعل واجب، نبيّن ما يلي:

قضيّة الحلال والحرام:

يقول متولي شعراوي: «قضية الحلال والحرام هي أقدم القضايا مع الإنسان.. لقد بدأتْ معه قبل أن ينزل إلى الأرض.. بل هي بدأت معه كأوّل درس تلقّاه من ربه.

فهذه القضية يقوم عليها الكون كله.. ويقوم عليها ميزان الحياة...

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان كي يؤدّي مهمَّته كخليفة في الكون... والله الخالق يعلمُ ما يصون صنعته وما يُفسدها... ولذلك فقد وضع لصنعته القوانين.. لكي تظلَّ صالحة دائماً لأداء مهمتها بتوفير وسائل استمرار الحياة، كالطعام والشراب وغيره، وتوفير وسائل استبقاء النوع بالتناسل، وتوفير وسائل الحياة الطيّبة على الأرض... ولنعرف أنّ الله تعالى أحلّ الكثير وحرّم أقلّ القليل... ولكثرته لم يحصر لنا الله ما أحلّه ولكنه سبحانه أحصى ما حرّمه فقط»[1].

والقرآن الكريم في آياته العديدة بيّن لنا المحرّمات من قول أو فعل، وكذلك وضّح الحلال من الطعام والشراب والحرام منه، يقول الأستاذ القرضاوي:

«الأصل في الأشياء الإباحة:

كان أول مبدأ قرّره الإسلام: أنّ الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع هو الحِلّ والإباحة، ولا حرام إلا ما ورد نصٌّ صحيح صريح من الشارع بتحريمه؛ فإذا لم يكن النصُّ صحيحاً ـ كبعض الأحاديث الضعيفة ـ أو لم

---

(١) الحلال والحرام: محمد متولي الشعراوي، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩١ م (ص ٦).

يكن صريحاً في الدَّلالة على الحرمة ، بقي الأمر على أصل الإباحة .

وقد استدل علماء الإسلام على أنَّ الأصل في الأشياء والمنافع الإباحة ، بآيات القرآن الواضحة من مثل قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] ، ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠]»[1] .

فالله أنعم على الإنسان نِعماً لا تقدَّر ولا تُحصى ، وكلها لسعادة هذا المخلوق البشري الذي كرَّمه ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

وبيّن سبحانه وتعالى عدداً من المحرّمات في الآيات التالية : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١ ـ ١٥٣] .

«وفي هذه الآيات بعض ما ذكر من آيات التحريم ، وهذه الآيات تشمل الوصايا العشر التي نزلت على موسى عليه السلام . . . ولكنك لن تجد في القرآن الكريم أبداً آية تقول : تعالوا أتل ما أحل ربكم لكم .

. . . إنّ فضل الله علينا أنّه وضع في منهجه لنا ما يصون حياتنا ويجعلها طيّبة . . . لقد شاء عدله أن يخرج احتياجات الحياة الحيوية من حكم

---

(١) الحلال والحرام : للقرضاوي (ص ٢٢ ـ ٢٣) .

الإنسان... فالهواء ـ مثلاً ـ لا يستطيع الإنسان أن يصبر عليه إلا ثوان... لذلك لم يُملّكه الله لأحد... ولأن الماء يستطيع الإنسان أن يصبر عليه أياماً فقد جعل ملكيته محدودة... أمّا القوت فتصبر عليه أسابيع لذلك ملّكه كثيرا من الناس.

التحليل والتحريم حق الله وحده:

الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يملك أن يقول هذا حلال وهذا حرام... لأنّه سبحانه هو الذي يصع المنهج، وهو جلّ جلاله منزّه عن الهوىٰ، فلا يميل إلى أحدٍ على حساب آخر.. ولا يُقنن لصالح أحد دون آخر، لقد تدخّل الكفار ومدّعو الألوهيّة وعبّاد الأصنام وغيرهم... فيما أحلّ الله سبحانه وتعالى وفيما حرّم... وحاولوا أن يجعلوه على هواهم، فوصفهم الله بالافتراء وتوعّدهم بعذاب عظيم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

إن الحلال والحرام هما أمران بقرّرهما الله وحده... وليس لأحد من خلقهِ أن يتدخّل إلاّ بالرّجوع للقواعد التي وضعها الله... »[1].

وقبل أن نتوجّه إلى أولادنا بتعريفهم الحلال والحرام، يجب أن نفهم كل ما يتعلق بهذا الأمر لنستطيع التوجيه والإرشاد، ونكون على بينة صحيحة في المحرّمات التي حرّمها الله تعالى وأيضاً في الأمور المباحة دون قيد.

«... وإنّ أصل الإباحة لا يقتصر على الأشياء والأعيان، بل يشمل الأفعال والتصرّفات التي ليست من أمور العبادة، وهي التي نسمّيها «العادات أو المعاملات» فالأصل فيها عدم التحريم، وعدم التقيّد إلا ما حرّمه الشارع، وألزم به، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩] عامّ في الأشياء والأفعال.

---

(١) الحلال والحرام: للشعراوي: (٧ ـ ١٤).

وهذا بخلاف العبادة ، فإنّها من أمر الدِّين المحض الذي لا يُؤخذ إلاّ عن طريق الوحي .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما لَيْسَ فيهِ فَهو رَدٌّ»[1] [2] .

فإن أدرك المسلم معنى ما ورد من آيات كريمة وأحاديث شريفة ، واستطاع أن يميّز بين الحلال والحرام يكون قد سار على طريق واضحة المعالم ، لا جهل فيها ولا ضلالة ، وسيشعر بحلاوة الإيمان وتفقُّهه في دينه ، عند ذلك عليه أن ينقل هذه المعرفة التي وصل إليها إلى أفراد أسرته وخاصّة صغارها لينشؤوا على معرفة الصالح والطالح والنافع والمضرّ .

والنبي ﷺ يشرح لنا في حديث شريف آخر الحلال والحرام ، ويحذّرنا أن نكون على حذر من الوقوع بما حرّمه الله ونحن نظن أنّه حلال .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنَّ الحلال بَيِّنٌ ، وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ ، وبينهما مشبّهاتٌ لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتّقىٰ المشبّهات استبرأ لدينه وعِرْضِهِ . . .»[3] .

ومن الأمور المحرّمة ما ذكره «ابن تيمية» : «تحريم تطفيف المكيال والميزان ، ووجوب الصّدق والبيان ، وتحريم الكذب والخيانة والغشّ ، وأنَّ جزاء القَرض الوفاء والحمد .

ومنه ما هو خفيٌّ ، جاءت به الشرائع . . . فإن عامَّة ما نَهَىٰ عنه الكتاب والسُّنَّة من المعاملات : النهي عن الظُّلْمِ دِقِّـهُ وجُلّه[4] : مثل أكل المال بالباطل وجنسه من الرِّبا والميْسر ، وأنواع الربا والميسر التي نهى عنها

---

(١) [البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨)] .

(٢) الحلال والحرام : للقرضاوي (٢٤) .

(٣) [البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩)] .

(٤) دِقّـهُ وجلّه : قليله وكثيره .

النبي ﷺ مثل: بيع الطَّير في الهواء، والسَّمك في الماء، والبيع إلى أجل غير مسمىٰ... وبيع الثمر قبل بُدُوِّ صلاحه، وما نهى عنه، من أنواع المشاركات الفاسدة... والأصل في هذا أنّه لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها إلا ما دلّ الكتاب والسنَّة على تحريمِهِ، كما لا يشرع له من العبادات التي يتقربون بها إلى الله إلا ما دلَّ الكتاب والسنة على شرعه؛ إذ الدّينُ ما شرعه الله، والحرام ما حرّمه الله، بخلاف الذين ذمّهم الله، حيث حرّموا من دون الله مالم يحرّمه الله، وأشركوا به ما لم ينزِّل به سلطاناً، وشرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله»[1].

تعريف الأولاد بالحلال والحرام:

بعد معرفة الوالدين الحلال والحرام، عليهم أنْ ينقلوا ذلك لأطفالهم فيقول د. محمد زحيلي:

«يجب على الآباء والأمهات أن يعرِّفوا أولادهم بالحلال والحرام في جميع التصرّفات، وأن يُنَمُّوا فيهم العقيدة السليمة، وأنْ يُعلِّموهم العبادات، وأنْ يربُّوهم على محاسن الأخلاق، فيغرسوا في نفوسهم الإيمان بالله تعالى، وحقّه بالشكر، والمحبّة لرسول الله ﷺ، والاقتداء بمواقف المصطفى عليه الصلاة والسلام في مختلف جوانب الحياة، فتىً وشاباً، ورجلاً وقائداً، وزوجاً وأباً، وداعية ومعلّماً، وصديقاً وجاراً، وسياسيّا ورجل دولة، وأن يعتزّوا بالصَّحابة وتاريخ السَّلَف وتراجم القادة والعلماء والخلفاء»[2].

إنَّ نقل المعرفة العبادية للأطفال وتفقيههم بأمور دينهم، ذلك من أساس التربية، ففهم المبادىء الإسلامية الصحيحة هي من أهم الوظائف التربوية

---

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: ابن تيمية، دار الكتب العربية، بيروت ١٩٦٠ م (ص ١٣٤ ـ ١٣٥).

(٢) الإسلام وتربية الأطفال والشباب (ص ٣٦ ـ ٣٧).

التي تقع على عاتق الوالدين ، فكيف يتم إيصال ما نريده بشكل يتقبله الطفل ويرغب بالاستزادة منه والإقبال عليه؟

هذا ما دلّنا عليه د. محمد زحيلي ، فيقول:

«والطَّريق إلى ذلك يتمّ بالتعليم المباشر ، والتعليق على مواقف التاريخ ، وضرب الأمثلة الحيّة ، من القَصَص الإسلامي ، والقراءة الواعية؛ وإنَّ التزوُّد بالثقافة الإسلامية ضروريٌّ جداً ، ولكنَّ المهمَّ في الثقافة هو الجوانب الحيّة... وتبدأ هذه الثقافة بسيرة الرسول ﷺ لينشأ الشاب على حبِّ الخير والفضيلة ، ويتجنّب الشرَّ والرَّذيلة»[1].

ولإيصال المفاهيم التربوية الإسلامية لأولادنا ، فالواجب أن نكون حذرين بما نعمله في حياتنا اليومية أو نتلفَّظ به ، فسيلتقطه أولادنا بطريقة مباشرة وبسرعة ، فالأب والأمّ هما الأستاذ الأوّل للطفل ، فالحذر واجب في القول والعمل؛ يقول صاحب المستطرف: «على المرءِ أَنْ يحفظ لسانَه عن جميع الكلام إلاّ كلاماً تظهر المصلحة فيه... لأنّ بعض الكلام المباح قد يجرّ إلى حرام أو مكروه»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليقُلْ خَيْراً ، أو لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كان يؤمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ فليكْرِمْ ضَيْفَهُ»[3].

تحليل الحرام وتحريم الحلال ، شرك:

قد يقوم أحدٌ يرى في نفسه القدرة على الفهم والاستيعاب لأوامر الله سبحانه بتفسيرها ، أو شرح ما جاء في الأحاديث الشريفة دون الرجوع إلى

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المستطرف: شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي المتوفى سنة ٨٥٠ هـ ، منشورات دار مكتبة الحسيني ، بيروت (١٩٨٧ م) ، (١/١٢٨).

(٣) [البخاري (٦٤٧٥) ومسلم (٤٧)] .

الكتاب والسنة ، فحلّل وحرّم ووقع في الخطأ ، وهذا ما نُهيَ عنه .

يقول الأستاذ القرضاوي: «إنّ التحليل والتحريم بأمر من الله تعالى كما جاء في القرآن العظيم أو ما جاء على لسان نبيّهِ ﷺ ، وأنه يحرُم على كل إنسان أن يحلِّل ويحرِّم كيفما اتفق دون الرجوع إلى سندٍ شرعيّ إسلامي ، فمن خالف أمر الله في تحريم ما أحلَّ اللهُ لنَا وتحليل ما حرّمَهُ علينا؛ كان ذلك قريناً للشِّرك ، وقد حارب النبي ﷺ نزعة التنطع والتشدّد هذه بكل سلاح ، وذَمَّ المتنطعين ، وأخبر بِهَلَكَتِهِم .

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: «هَلَكَ المتنطِّعون» قالها ثلاثاً. رواه مسلم[1] .

وقد نعىٰ القرآن الكريم على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين وضعوا سلطة التحليل والتحريم في أيدي أحبارهم ورهبانهم فقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

روى الإمام الشافعي في كتابه «الأم» عن القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة قال:

«أدركتُ مشايخنا من أهل العلم يكرهون للفتيان أن يقولوا: هذا حلال وهذا حرام إلا ما كان في كتاب الله عزَّ وجَلَّ بيّناً بلا تفسير»[2] .

عِلل التحريم:

جعل الله التحليل والتحريم لِعَللٍ معقولة ، راجعة لمصلحة البَشَر أنفسهم ، فلم يحلّ سبحانه إلاّ طيّباً ولم يحرّم إلا خبيثاً. . . قال تعالى:

---

(١) [مسلم (٢٦٧٠)] كتاب: الأمور المنهي عنها ، باب: كراهة التقصير في الكلام. . «المتنطّعون»: المبالغون في الأمور.

(٢) الأم: الإمام الشافعي (٧/ ٣١٧).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤]. . . ومع ذلك أباح بعض المحرّمات للضرورة ، فبعد أن ذكر محرّمات الطعام. . . قال: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] ، ومن هذه الآيات وأمثالها قرّر فقهاء الإسلام مبدأً هاماً هو: «إنّ الضرورات تبيح المحظورات». ولكن الملاحظ أنَّ الآيات قيّدت المضطَّر أن يكون (غير باغ ولا عاد) وفسّر هذا بأن يكون غير باغٍ للذةٍ طالباً لها ، ولا عادٍ حدَّ الضرورة متجاوز في التشبُّع.

والإسلام بإباحته المحظورات عند الضرورات إنّما يُساير في ذلك روحَه العامّة ، وقواعده الكليّة التي هي روح اليُسْرِ الذي لا يشوبه عسْر. . . قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥][1].

المحرّمات كلّها ضَرَر للمسلم وغير المسلم:

مسألة الحلال والحرام كبيرة ، ومعقدة ، ولكن المؤمن بكتاب الله تعالى وأقوال الرسول ﷺ يدرك أن التحريم كان لمصلحته ، وأنّ الله لا يريد الضرر بمن خلقه وكرّمه ، وليس الضرر في المحرّمات يطال المسلمين فقط بل يصيب جميع البشر ، لأن التحريم وُضِع لمصلحة بني آدم ، ولم يحلّ الله لهم إلا الطيبات ، ولم يحرّم إلا الخبائث.

وبعض الناس يتساءلون: لماذا حرّم الله لحم الخنزير والنصارىٰ يأكلونه ويُعتبر عندهم أطيب أنواع اللحم ؟!! وإذا بحثنا في طعام الخنزير ، فإنه يجمع طعامه من القاذورات ، وثبت علميّاً أنّ الدودة الوحيدة وغيرها من الديدان يكون سببها أكل لحم الخنزير. قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال ابن تيمية في ذلك:

«والحلال والحرام يتناولُ كل شيء في حياة المسلم الخاصة من طعام

---

(١) الحلال والحرام: للقرضاوي (ص ٢٩ ـ ٤٠) باختصار.

وشراب وملابس ، وما يتبعها ، وما يتعلق بعمله وحياته الاجتماعية ، فالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة شملت كل مناحي الحياة الإنسانية ومثالها في الأطعمة قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] والحكمة في تحريم أكل الدّابة الميتة لعدم استساغتها ، وجميع الأديان الكتابية تحرّمها ، والآية الكريمة تفصّل عشرة أنواع من المحرّمات؛ ومن المشروبات «الخمر» التي حرمها الله على فترات ثم حرّمها بشكل تام فقال: ﴿. . . إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ . . .﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١] ، وكذلك المخدّرات.

وقاعدة الشريعة أن ما تشتهيه النفوس من المحرّمات كالخمر والزنى ففيه الحدُّ ، وما لا تشتهيه كالميتة ففيه التعزير»[1].

ويقول متولي الشعراوي:

«. . . فالحلال هو لباس التقوى يخفي عورات المؤمنين ، والحرام يظهر هذه العورات ليراها المجتمع كله. فالإنسان الذي يحصل على مالٍ حرام بالرشوة أو بالسرقة أو بالتزوير أو بغير ذلك ، يُقبضُ عليه ويُقدّم للمحاكمة وتُنشَرُ صورُه في الصحف. . ويقول المجتمع كله: هذا لصٌّ. . لقد انكشفت عورتُه لأنه لم يتّبع طريق الإيمان ولم يلتزم بالأمانة ، ولو التزم ما بَدَت هذه العورة أبداً.

ومثال آخر: رجل يزني مع زوجة غيره ، مجرَّد أن يراه الناس يعرفون خُلُقَهُ السيّىء وتصبحُ فضيحةً يتناقلها الناس في مجالسهم حتى ولو لم يطبَّقْ

---

(١) فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٦٢) وما بعدها.

فيها الحدّ. . . لقد انكشفت عورتهما وخاض الناس في سيرتهما. . . ، لو أن هذا الإنسان عاش حلالاً ، ودخلت عليه الدنيا كلها ومعه زوجته ما قال أحد شيئاً.

إنَّ مراد الله من التحريم هو أن يخفي عوراتنا عن الناس ويجعلنا نعيش حياة طيبَة. . هذا التحريم هو لمصلحتنا لأنّ الله سبحانه إذا قال لي: لا تسرق. . منعني أن أسرق مالَ غيري ، ولكنه في نفس الوقت منع الدنيا كلها من أنْ تسرق مالي وأنا فرد ، والله حرَّم أن أنظر إلى محارم غيري لتُحفظ مَحارمي. .

إنَّ هذا لهو أكبر دليلٍ على أنَّ ما حرّمه اللهُ هو لِصالحي. . . »[1].

المحرّمات في الإسلام:

المحرّمات متعددة ومتشعِّبة تطال كل أمر من أمر حياتنا: في معاملاتنا مع الآخرين ، في المأكل والمشرب ، في اللباس ، في الزينة ، في العمل والكسب ، في الحياة الشخصية والأسَرية ، في الزواج ، في علاقة الزوجين ، وكذلك العلاقة بين الأب وأولاده ، ثم هناك في المعتقدات والتقاليد ، وفي العلاقات الاجتماعية ، ثم الحلال والحرام في اللهو والترفيه ، ولذلك فالمؤمن الذي يضمن لنفسه عدم الوقوع في الحرام عليه أن يتفقه في الدين ، ويسأل أهل العلم والفقه عن كل صغيرة وكبيرة خوفاً من الزَّلل ، لأن من واجب الإنسان أن يكون قدوة لأولاده أولاً ، ولرفاقه ثانياً ، وخير قدوة لنا: رسول الله ﷺ ، المعصوم عن الزّلل ، لأنَّ الإنسان مهما اتّقىٰ الحرام كما يظنُّ؛ فقد يخطىء عن غير قصد ، فيظلم نفسه؛ فالواجب أن يسعى للتفقُّهِ في دينه ، وخير مَنْ نقتدي به هو رسول الله ﷺ الذي أَمَرنا ربُّنا باتِّباعه في كل حال ، قال تعالى: ﴿. . . وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ. .﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) الحلال والحرام: للشعراوي (ص ١٢ ـ ١٣).

فالمؤمن يسمع كلام الله ، وينفِّذه ، ويمنع نفسه من المخالفة ، ويتجنّبها ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠ ـ ٤١] ، وَقَبلَهَا حذَّره ربّه سبحانه بأن مأواه النار إذا ظلم ، وطغى ، وآثر دنياه على آخرته : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٧ ـ ٣٩] ، فالإنسان نعيمه في يده ، وذلك جحيمه ، فاتّباعه للرسول هو النهج السليم الذي يُبعده عن الحرام ، ويسعده في الحلال .

وسنذكر بعض المحرّمات ومنها : الكذب ، السرقة ، ترك الصلاة ، وكذلك من المحرّمات عقوق الوالدين .

ومن المحرّمات في الحياة العائلية : المحرّمات من النساء ، يقول الأستاذ القرضاوي :

«يحرم على المسلم أن يتزوج واحدة من النساء الآتي ذكرهنّ : زوجة الأب ، الأم ، البنت وفروعها ، الأخت ، العمّة ، الخالة ، بنات الأخ ، بنات الأخت ، والمحرّمات بالرضاعة : أن تكون الرضاعة قَبل تمام السنتين للرضيع وأن لا يقل عدد الرضعات عن خَمْس مشبِعات ، والأخوات من الرّضاعة . . .

وأم الزوجة ، والجمع بين الأختين ، والمتزوّجات حتى يطلّقن وأن تستوفي العدّة . . .

وزواج المسلمة من غير المسلم . . . وزواج المتعة من المحرمات قطعاً . . . وكذلك من المحرّمات في الإسلام : التبنّي . ومن المحرّمات بَيْع الأشياء المحرّمة كالخمر والاتجار بها ، والأصنام والصلبان والتماثيل ، والحسَد ، واحتقار المسلمين ، وتحريم الرِّياء ، وتحريم تشبُّه الرجال بالنساء ، وتحريم الخلوة بالأجنبية ، وتحريم مال اليتيم ، وتحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاث وتحريم الغدر والطعن في الأنساب ، وتحريم اللعن

للإنسان ، وتحريم امتناع المرأة عن فراش زوجها ، وتحريم الوصال في الصوم. . . »[1].

ثامناً: الغيبة

قد يقول الإنسان كلاماً دون إدراكٍ بأنَّ كلامه يؤذي آخرين ، والإسلام حرّم عدم ضبط اللسان ، أو انحرافه ، وما يصدر عنه من ألفاظ قد تؤدّي إلى الضَّرر والأذىٰ ، وقد نهىٰ القرآن الكريم عنها ، وربما قد تنتهي بمفسدة أو شرٍّ ، وهذا لا ينطبق على الأقوال فقط ، بل على الأفعال أيضاً ، وكثيراً ما يتناقل الناس أقوالاً وهي من المحرّمات ، ومثالها: ذكر الآخرين بأوصاف أو بِسِماتٍ تُعتبرُ من الغيبة ، فما هي الغيبة؟

مِنْ معاني الغيبة:

« . . إنّ الغيبة هي شهوة الهدم للآخرين ، هي شهوة النهش في أعراض الناس وكراماتهم وحُرُماتهم وهو غائبون ، إنّها دليلٌ على الخِسَّةِ والجُبْنِ ، لأنها طعنٌ من الخلف ، وهي مظهرٌ من مظاهر السلبية ، فإنَّ الاغتياب جهدُ مَنْ لا جُهدَ لَهُ ، وهي مِعولٌ من معاول الهدم ، لأن هُواةَ الغيبة ، قلَّما يَسْلَمُ من أَلْسنتهم أحدٌ بغير طعن ولا تجريح»[2].

لقد صورّ القرآن الكريم هذه الصفة الذميمة تصويراً تقشعرّ له الأبدان. . . قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢].

هذه الآية تُـبَـيِّنُ أنَّ الإنسان الذي يأنف من أكل اللَّحم البشري ، كيف به وهو يأكل لحم أخيه؟ وأيضاً وهو جثة هامدة؟ وقال تعالىٰ أيضاً محذّراً بأن كل ما يصدر عن الإنسان يكون مرصوداً من قبل جهاز مراقبة ، يسجِّل عليه كل

---

(١) الحلال والحرام: للقرضاوي ، ورياض الصالحين: فقرات وعناوين متفرقة.
(٢) انظر: الحلال والحرام: القرضاوي (ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

ما يتفوّه به: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

و«ينبغي للعاقل المكلّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسُّنَّةُ: الإمساك عنه، لأنه قد يجرّ الكلام المباح إلى حرامٍ أو مكروهٍ، وذلك كثير في العادة، والسلامةُ لا يعدِلُها شيء»[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كانَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ، فليقل خيراً، أو ليصمت»[2] متفق عليه.

وهذا الحديث صريح في أنّه ينبغي ألا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شكَّ في ظهور المصلحة، فلا يتكلم.

والإنسان في الأصل كرّمه الله تعالى، وإلحاق الأذىٰ به مخالفة لشريعة الله عزّ وجلَّ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

فبعد تكريم الله تعالى للإنسان علينا أن نهتمّ بذلك، ولا نسبّب له أيَّ شرّ في الفعل أو القول «والغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشاراً في الناس حتى لا يسلَم إلا القليل منهم وهي: ذكر الإنسان بما يكره، ولو فيه: سواء كان في دينه، أو بَدَنِه، أو نفسِه، أو خَلْقِه، أو خُلُقِه، أو مالِه، أو ولده، أو زوجته، أو خادمه، أو ثوبه، أو حركتِه، أو بشاشتِه، أو خلاعتِه... أو غير ذلك.. مما يتعلّق به سواء ذكرته بلفظكَ أو كتابك... أو بالإشارة إلى ذلك...، فقولك: سارقٌ، خائنٌ، ظالمٌ، متهاونٌ بالصلاة، قليل

---

(١) انظر: المستطرف: للأبشيهي (١/١٢٨) وأيضا: رياض الصالحين، باب تحريم الغيبة (ص ٤٧٥).

(٢) [البخاري (٦٤٧٥) ومسلم (٤٧)] ورياض الصالحين، كتاب الأمور المنهي عنها، باب: تحريم الغيبة.

الأدب. . . وغيرها من الصفات التي تدل عليه. . . »[1].

ما الغيبة؟:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أتَدْرون ما الغيبَة؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ قال: «ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ» قيلَ: أفَرأيتَ إن كان في أخي ما أقولُ؟ قال: «إن كان فيه ما تقولُ، فَقَد اغتَبْتَه، وإن لم يكنْ فيه ما تقولُ فقد بَهَتَّهُ» رواه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ وقاهُ اللهُ شرَّ ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وشَرَّ ما بين رجليه دَخَلَ الجنَّةَ»[3] رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

تَحريمُ سَماع الغيبةِ ورَدِّها:

أحاديث كثيرة تتكلم عن الغيبة وآيات كريمة ذكرت ذلك. . . وكلها تؤكّد على أنّ الغيبة صِفة خبيثة، شرّيرة، ولِخَطَرِها العظيم في المجتمع الإسلامي وردت آيات في تحريم سماع الغيبة، كما أن رسول الله ﷺ حرمَ ذلك وطلب منا ردّها، ومن لم يستطعْ، فعليه أن يبتعدَ عن المجلس الذي تُذكر فيه الغيبة. . .

آيات كريمة وأحاديث شريفة في تحريم سماع الغيبة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[4] [القصص: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ

---

(١) انظر: المستطرف (١/ ١٣٠).

(٢) [مسلم (٢٥٨٩) وأبو داود (٤٨٧٤) والترمذي (١٩٣٥)] «بَهَتَّهُ»: أي: افتريتَ عليه الكذب.
انظر: رياض الصالحين: كتاب الأمور المنهي عنها ـ باب: تحريم الغيبة.

(٣) [الترمذي (٢٤١٠)] «ما بين لحيَيْه» هو: اللسان.

(٤) «اللغو»: القول القبيح.

غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] [الأنعام: ٦٨].

هذه الآيات الكريمة وغيرها تأمر المسلم بردّ الغيبة إذا سمعها ومغادرة المكان الذي تُذكر فيه، وجميع أعضاء الإنسان مسؤولة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وفي الحديث الشريف ما يوضح ذلك أيضاً، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَدَّ عن عِرْضِ أَخيهِ، رَدَّ الله عن وجهِهِ النارَ يوم القيامة» رواه الترمذي وقال: حديث حسن[2].

ما يُباح مِن الغيبةِ:

«الغيبة تُباح لغرض صحيح شرعيّ لا يمكن الوصولُ إليه إلاّ بها، وهو ستة أسباب، نلخّصها فيما يلي:

الأول: التظلّم: فيجوز للمظلوم أنْ يتظلّم إلى السلطان والقاضي وغيرهما... فيقول: ظَلَمني فلانٌ بكذا...

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكَر، وردّ العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرتَهُ على إزالة المنكر: فلانٌ يعمل كذا، فازجُرْهُ عنه.. والقصد التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً.

الثالث: الاسْتِفْتاءُ: فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي.. أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟ وما الطريق لتحصيل حقي ودفع الظلم؟ فهذا جائز للحاجة، والأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو... كان أمره كذا، من غير تعيين...؟

الرابع: تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم، وذلك من وجوه: منها

---

(١) «يخوضون»: أي: بالطعن والاستهزاء، و«الذكرى»: التذكّر.

(٢) [الترمذي (١٩٣٢)]. وانظر رياض الصالحين، كتاب الأمور المنهي عنها ـ باب: تحريم الغيبة.

جَرْحُ المجروحين من الرُّواة والشهود. . . جائز وواجب للحاجة.

الخامس: أن يكون مجاهراً بِفسْقِهِ أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر، وجباية الأموال ظلماً. . . وغيرها فيجوز ذكره بما يجاهر به.

السادس: التعريف، إذا كان الإنسان معروفاً بلقبٍ، كالأعمش، والأعرج. . . ويحرمُ إطلاقه على جهة التَّنقُّصِ[1].

تاسعاً: النميمة

محرّمات كثيرة يتناقلها جلّ الناس، منهم مَنْ يفعلها وهو عالم بأنها محرّمة، وآخر ينفِّذها من غير دراية، لكنّ المسلم عليه أن يَسألَ ويتفّقهَ في دينه، ولا يقدم على فعلٍ أو قولٍ إلاّ ويكون قد خبِرَ شيئاً عنه، وعرف مرماه.

فالكلام أو الفعل إذا صدر دون أن يُدرك صاحبه مداه، قد يسبب مشكلة، وأيضاً قد يُؤدّي إلى ضرر وإساءة!

ومن المحرّمات التي نهى الله عباده عنها ووصف فاعلها وصفاً غير محمود هي: النميمة!

فما هي النميمة؟: هي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد.

وهي السعاية لما يسوء أخاك من كلام صِفَتُهُ النِّفاق والكذب، وهذه الصفة الذّميمة التي أمرنا الله ألاّ نوافق صاحبها: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٣][2].

---

(١) رياض الصالحين: كتاب الأمور المنهي عنها ـ باب: ما يباح من الغيبة.

(٢) مهين: حقير في الرأي والتدبير. همّاز: عيّاب. أو مُغتاب للناس، مشّاء بنميم: بالسعاية والإفساد بين الناس. عُتلّ: فاحشٍ لئيم. زنيم: دعيٌّ في قومه. انظر: كلمات القرآن: حسنين مخلوف، مفردات: سورة القلم.

قال صاحب المستطرف: «وحَسْبُك بالنمام خِسَّةً ورذيلةً، سقوطُه وضِعَتُه».

فالنَّميمة داءٌ وبيلٌ[1]، ونقيصة خبيثة، فاعلها يُخَرِّب العلاقات الاجتماعية ويفسدها، ويؤلِّب الخَلْق بعضهم على بعضٍ.

عن حُذَيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنَّةَ نمّام» متفق عليه[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ النبيّ ﷺ قال: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ ما العَضْهُ؟ هي النميمةُ؛ القالَةُ بَيْنَ الناسِ» رواه مسلم[3].

قال القرضاوي: «إنَّ الإسلام في سبيل تصفية الخصومة وإصلاح ذات البيْن يبيح للمصلح أَن يخفي ما يعلم من كلام سيّىءٍ قاله أحدهما عن الآخر، ويزيد من عنده كلاماً طيّباً لم يسمعْه من أحدهما في شأن الآخر...»[4].

وفي حديث لأمِّ كلثوم رضي الله عنها: أَنَّها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليسَ الكذَّابُ الذي يُصْلِحُ بيْنَ الناس، فَيَنْمِي خيراً أو يقول خيراً» متفق عليه.

زاد مسلم في رواية: قال ابن شهاب: ولم أَسمعه يُرَخِّصُ في شيءٍ ممَّا يقولُ الناسُ إلاّ في ثلاثٍ» تعني: الحَرْبَ، والإصلاحَ بين الناسِ، وحديثَ الرجل امرأتَهُ، وحديث المرأة زوجَها[5].

---

(١) داء وبيل: داء ثقيل وخيم.

(٢) [البخاري (٦٠٥٥) ومسلم (١٠٥)] وانظر: رياض الصالحين كتاب الأمور المنهي عنها: باب: تحريم النميمة.

(٣) [مسلم (٢٦٠٦)]. العَضْهُ: النميمة كما قال ﷺ والعِضَهُ: الكَذِبُ والبهتان.

(٤) انظر: الحلال والحرام: للقرضاوي (ص ٢٩١ ـ ٢٩٢).

(٥) [البخاري (٢٦٩٢) ومسلم (٢٦٠٥)]، فينمي خيراً: أي: يبلغ خيرا، وانظر رياض الصالحين: كتاب الأمور المنهي عنها. باب: بيان ما يجوز من الكذب، وأم كلثوم هي: بنت عقبة بن أبي معيط من المهاجرات الأول.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلِّغُني أحدٌ من أصحابي عن أَحدٍ شيئاً، فإنِّي أحبُّ أن أَخْرجَ إليكم وأنا سليم الصدر»[1] رواه أبو داود والترمذي.

وفي المستطرف: «دفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد ـ من وزراء بني بُـوَيْـه ـ يحثه فيها على أخذ مال يتيمٍ، وكان مالاً كثيراً، فكتب إليه على ظهرها: النَّميمة قبيحةٌ وإن كانت صحيحةً، والميت رحمه الله، واليتيم جَبَرَهُ اللهُ، والسّاعي لَعَنَهُ اللهُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاّ باللهِ»[2].

فنقلُ الكلام مهما كانت صِفته إذا لم يكن هدفُ ناقلِه الإصلاح، أو تجنُّب سوءٍ، فتركه أسلم.

قال ابن المقفع: «صُنْ لسانَكَ لأنّه أداة مُصْلَتَةٌ يتَغالَبُ عليه عقلُك وغضبُكَ وهواكَ وجهلُكَ... فإن استطعت أَنْ تحتفظ به وتصونه؛ فلا يكون إلاّ لَكَ، ولا يستولي عليه أو يشاركك فيه عدوّك، فافعلْ»[3].

* * *

(١) [أبو داود (٤٨٦٠) والترمذي (٣٨٩٦)].

(٢) المستطرف (١/ ١٣٣).

(٣) الأدب الكبير: ابن المقفع (ص ٨٣)، مُصْلَتَةٌ: مُجَرَّدةٌ.